الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي و البحث العلمي

جامعة لمين دباغين سطيف 2

كلية العلوم الانساية و الاجتماعية

قسم التاريخ و الآثار

محاضرات في مادة العصبيات القبلية و الحركات المذهبية في المغرب الأوسط

مطبوعة موجهة لطلبة سنة أولى ماستر تخصص تاريخ مجتمع المغرب الأوسط في العصر الوسيط

من إعداد الدكتور : بكاي عبد المالك

السنة الجامعية 2015-2016

مطبوعة مقياس : العصبيات القبلية و الحركات المذهبية في المغرب الأوسط

مقدمة : يعتبر مقياس العصبيات القبيلة و الحركات المذهبية في المغرب الأوسط من المقاييس التي تضمن بين جنباتها الحديث عن المجتمع من حيث التركيبة و كذا من حيث الجانب الديني ، فهو في الحقيقة مقياس اجتماعي ثقافي ، غير أنه يطغى عنه الطابع الاجتماعي و ذلك كون الحركات المذهبية التي دخلت إلى بلاد المغرب في العصر الوسيط حاولت الاستثمار في الجوانب الاجتماعية قصد الوصول إلى غاياتها ، ثم إن الحديث عن التقاطع العصبي المذهبي يدفع إلى التركيز على الجوانب الاجتماعية، و هو ما نلحظه جليا في أن العصبية القبيلة كان دفعها الظهور و الانتقال من مرحلة القبيلة إلى مرحلة الدولة و هذا يحتم عليها البحث عن سند ديني أو مذهبي و من ثم كان لدعاة المذاهب ولأصحاب العصبيات تقاطعات مصلحية دفعت في النهاية إلى تحالف الأول مع الثاني .

غلب على المغرب الأوسط الطابع القبلي و ذلك راجع إلى الطبيعة الاجتماعية التي حاول الحفاظ على منسوجها من خلال رفض الانفتاح و الاندماج إلا بالسيطرة و الاخضاع ، هذه الحالة القبيلة المنغلقة وجدت متنفسا لولوج العالم الخارجي والسيطرة و التغلب على الآخر و ذلك بالارتكاز على الدعوة الدينية والحركة المذهبية .

القبيلة المغربية الماهية و التنظيم :

نظرا لوجود العديد من الاختلافات في أسلوب وطريقة دراسة مفهوم القبيلة من قبل المهتمين والدارسين يبرز الاختلاف في تحديد مفهوم القبيلة ولا يحظى بالاتفاق التام على دلالاته ومعانيه وبرز بشكل لافت الخلط بين مفهومي القبيلة من جهة ومفهوم الاثنية من جهة أخرى، لذلك سنحاول مقاربة هذا المفهوم على عدة مستويات.

1- الماهية :

مفهوم القبيلة عند العرب :

عرفت القبيلة عدة تعريفات عند العرب حيث يعرفها ابن منظور[1] نقلا عن ابن الكلبي على " أن الشعب أكبر من القبيلة ثم القبيلة ثم العمارة ثم البطن ثم الفخذ ، و اشتق الزجال القبائل من قبائل الشجر أي أغصانها ، و يقال قبائل من الطير أي أصناف و كل صنف منها قبيلة ... و القبيلة هي الجماعة من الناس يكونون من ثلاثة فصاعدا من قوم شتى كالزنج و الروم و العرب ، و قد يكونون من نحو واحد و ربما كان القبيل من أب واحد كالقبيلة " و يمكن القول أن هذه التعريف استمد من الآية الكريمة " يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا

[1] لسان العرب ، تح عبد الله علي الكبير و آخرون ، مج 5 ، دار المعرف ، القاهرة ، ص 3519

خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا "[1] ، و الملاحظ على التعريف انه يقوم على التجمع و التدرج و الذي يقوم على النسب المشترك للمجموعة و هو ما استندت عليه الموسوعة العربية الميسرة في تعريفها للقبيلة فعرفتها أنها " مجموعة من الناس يتكلمون لهجة واحدة و يسكنون أقليما واحدا مشتركا يعتبرونه ملكا خاصا بهم "[2] .

و يمكن القول أن التعريف العربي للقبيلة يتميز بالدقة من خلال الاتفاق على أنها تمثل جزءا يندرج في إطار تصنيفات أخرى متدرجة ، فللعرب تقاليد عريقة في علم الأنساب و هذه التدريجة هي كالآتي : الجذم –الجمهور – الشعب – القبيلة – العمارة – البطن – الفخذ – العشيرة – الفصيلة – الرهط . و قد جاء بهذا التقسيم النويري [3]و الذي قال فيما يخص القبيلة " هي التي دون الشعب تجمع العمائر ، و سميت قبيلة لتقابل بعضها بعضا و استوائها في العدد ".

و يرى محمد نجيب بوطالب [4] أن هذه التعاريف تقوم على مبدأ التصنيف و التدرج و التجمع ، بحيث يقوم التجمع على أساس النسب المشترك و الذي يكون من الجد الواحد .

و يقوم التعريف عادة على اعتقاد انتماء المجموعات القبلية إلى جد أعلى مشترك يميزها عن المجموعات الأخرى و يفصلها عنها ، بحيث تكون العلاقة بين الطرفين علاقة تعارض و تنافس و صراع.

---

[1] الحجرات الآية 13

[2] محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج4 ، دار إحياء التراث العربي ، ص 315

[3] نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط1 ، ج1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004 ، ص ص 296 ، 303.

[4] سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2009 ، ص 56.

القبيلة عند ابن خلدون :

يرى ابن خلدون أن القبيلة لا تكون متفرعة عن جد واحد كما لا تتحدد فقط بما يجمع بين أعضائها من رابطة الدم ،و يرى أن الاطار الحقيقي للقبيلة يكون في النسب في معناه الواسع و الرمزي وما يمثله من أشكال التحالف و الولاء و الانتماء ،و أبرز ما يدعوا إلى التكتل القبلي بين أعضائها هو توفر أرض جماعية إلى جانب الملكية العائلية فحمايتها و الدفاع عنها ضد المهاجمين من مقومات الحياة القبلية ، كل هذا يذكي الاحساس بالانصهار ضمن المجموعة القبلية و يعزز تلاحمها الداخلي ، يضاف له أيضا الخطر الخارجي الذي قد يهدد استمرار وجود الكيان القبلي ، سواء كان ذلك ناجما عن عصبية زاحفة أو تدخل السلطة المركزية [1].

و تحدث ابن خلدون في موقع أخر عن هذا الكلام حيث يمكن للفرد الهارب من القبيلة أن ينضوي تحت لواء قبيلة أخرى و يلتحم تحتها ، و حتى و إن كان نسبه معروف فبعد مرور زمن طويل يتناسى ذلك النسب [2] .

ومن كل ما سبق فإن الاطار المكتمل للقبيلة يجب أن يتعزز بعناصر الألفة والتعامل الطويل والذي يتبلور لديه وعي بوجود مصلحة عامة و مشتركة تجذبه إلى أعضاء جماعته الجديدة " لا معنى لكونه من هؤلاء أو هؤلاء إلا جريان أحكامهم و أحوالهم عليه كأنه التحم بهم "[3].

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة البهية المصرية ، ص 128.

[2] نفسه ، ص 130

[3] نفسه ، 130

فالقبيلة في نظر ابن خلدون تقوم على العصبية و التي تكون على أساس المصلحة المشتركة أو كما يسميها ابن خلدون " المساهمة و المشاركة " [1]المساهمة في السلطة السياسية و المشاركة في الثروات الناجمة عن الغنائم ، و يعتبر هذا العامل أساسيا في تطور الدورة العصبية و وصولها إلى الملك .

و تبق وحدة القبيلة التي تكونت بهذا التنظيم الدقيق معرضة إلى ظهور اللامساواة بين جموع ساكينها ، و ذلك بظهور ما يمكن تسميته بالأرستقراطية المحلية ، ويكون ذلك في المرحلة الأولى و إنما يكون في مرحلة الحاجي من الدولة "والسبب في ذلك أن صاحب الجاه مخدوم بالأعمال يتقرب بها إليه في سبيل التزلف والحاجة إلى جاهه ، فالناس معينون له بأعمالهم في جميع حاجاته من ضروري أو حاجي أو كمالي ، فتحصل قيم تلك الاعمال كلها من كسبه وجميع معاشاته أن تبذل فيه الاعواض من العمل يستعمل فيها الناس من غير عوض ، فتتوفر قيم تلك الاعمال عليه فهو بين قيم للأعمال يكتسبها وقيم أخرى تدعوه الضرورة إلى إخراجها ،فتتوفر عليه والاعمال لصاحب الجاه كثيرة فتفيد الغنى لأقرب وقت ويزداد مع الايام يسارا وثروة ، ولهذا المعنى كانت الامارة أحد أسباب المعاش كما قدمناه وفاقد الجاه بالكلية ولو كان صاحب مال فلا يكون يساره إلا بمقدار ماله وعلى نسبة سعيه وهؤلاء هم أكثر التجار ولهذا تجد أهل الجاه منهم يكونون أيسر بكثير، ومما يشهد لذلك أنا نجد كثيرا من الفقهاء وأهل الدين والعبادة إذا اشتهروا حسن الظن بهم واعتقد الجمهور معاملة الله في إرفادهم فأخلص الناس في إعانتهم على أحوال دنياهم والاعتمال في مصالحهم وأسرعت إليهم الثروة وأصبحوا مياسير من غير مال مقتنى إلا ما يحصل لهم من قيم الاعمال التي وقعت المعونة بها من الناس لهم رأينا من ذلك أعدادا في الامصار والمدن ، وفي البدو يسعى لهم الناس في الفلح والتجر وكل هو قاعد بمنزله لا يبرح من مكانه فينمو

---

[1] نفسه 132

ماله ويعظم كسبه ويتأثل الغني من غير سعي ويعجب من لا يفطن لهذا السر في حال ثروته وأسباب غناه ويساره والله سبحانه وتعالى يرزق من يشاء بغير حساب"[1]

ما أشار إليه ابن خلدون تحول إلى انقسام خطير داخل القبيلة حيث حول المجتمع القبلي الذي قام على اسس المساواة والشعور بالوحدة إلى مجتمع طبقي انقسم إلى حكام و مرؤوسين و تابعين .

و العصبية لا تكون في كل القبائل بحيث توجد قبائل لا تتوفر على عصبية ، فالعصبية هي مقياس و ليست نمط حياة ، و لهذا نجد صنفين من القبائل قبائل خاضعة و منقادة و ضعيفة التلاحم فهي لا تملك عصبية ، و قبائل قائدة مسيطرة و بالتالي فهي ذات عصبية فالعصبية هي " رابطة اجتماعية سيكولوجية شعورية ولا شعورية معا تربط أفراد جماعة ما ، قائمة على القرابة ربطا مستمرا يبرز و يشتد عندما يكون هناك خطر يهدد أولئك الأفراد أو كجماعة "[2]، هذا الصفات وجدها ابن خلدون عند القبائل التي استطاعت المحافظة على استقلالها إذ أن " المذلة و الانقياد كاسران لصورة العصبية و شدتها "[3].

و إذا كان الانطلاق من تحديد ابن خلدون و الجابري لمفهوم العصبية و شروطها فإن القبائل التي انفردت بالعصبية قليلة فهي قائدة و تميزت بها عن غيرها من القبائل المغلوبة [4] ، فهي تحاول الزحف على جيرانها لمحاولة إدراجهم حيث أن " إنّ القبيل الواحد وإن كانت

---

[1] نفسه ، ص 389 .

[2] محمد عابد الجابري : فكر ابن خلدون العصبية و الدولة ، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي ، ط2 ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء ، ص 254 .

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 141 .

[4] علي أمليل : الخطاب التاريخي دراسة تاريخية لمنهج ابن خلدون ، معهد الانماء العربي ، ص 147.

فيه بيوتات مفترقة وعصبيّات متعدّدة فلا بدّ من عصبيّة تكون أقوى من جميعها تغلبها وتستتبعها وتلتحم جميع العصبيّات فيها وتصير كأنّها عصبيّة واحدة كبرى وإلّا وقع الافتراق المفضي إلى الاختلاف والتّنازع «وَلَوْلا دَفْعُ الله النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ »[1] ثمّ إذا حصل التّغلّب بتلك العصبيّة على قومها طلبت بطبعها التّغلّب على أهل عصبيّة أخرى بعيدة عنها فإن كافأتها أو مانعتها كانوا أقتالا وأنظارا ولكلّ واحدة منهما التّغلّب على حوزتها وقومها شأن القبائل والأمم المفترقة في العالم وإن غلبتها واستتبعتها التحمت بها أيضا وزادت قوّة في التّغلّب إلى قوّتها وطلبت غاية من التّغلّب والتّحكّم أعلى من الغاية الأولى وأبعد وهكذا دائما حتّى تكافئ بقوّتها قوّة الدّولة في هرمها ولم يكن لها ممانع من أولياء الدّولة أهل العصبيّات استولت عليها وانتزعت الأمر من يدها وصار الملك أجمع لها وإن انتهت قوّتها ولم يقارن ذلك هرم الدّولة وإنّما قارن حاجتها إلى الاستظهار بأهل العصبيّات انتظمتها الدّولة في أوليائها تستظهر بها على ما يعنّ من مقاصدها وذلك ملك آخر دون الملك المستبدّ وهو كما وقع للتّرك في دولة بني العبّاس ولصنهاجة وزناتة مع كتامة ولبني حمدان مع ملوك الشّيعة من العلويّة والعبّاسيّة فقد ظهر أنّ الملك هو غاية العصبيّة وأنّها إذا بلغت إلى غايتها حصل للقبيلة الملك إمّا بالاستبداد أو بالمظاهرة على حسب ما يسعه الوقت المقارن لذلك وإن عاقها عن بلوغ الغاية عوائق "[2] ، فالعصبية تسعى دائم إلى اخضاع القبائل المغلوبة ، وهي و إن استطاعت تكوين قوة تعادل أو تفوق قوة الدولة فالظروف تكون مواتية أمامها للاستحواذ عليها و تحولت من طور

---

[1] البقرة الآية 251

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 139-140 .

القبيلة إلى طور الملك خاصة إذا أدركت الدولة في طور الانحدار ، فالعصبية هي المحركة لصيرورة الدولة [1] .

من خلال ما عرضناه يمكن لنا أن نستشف أن عمر القبيلة يمر بثلاثة مراحل المرحلة الأولى تكون فيها العلاقات السائدة بين أهلها قائمة على أساس المشاركة و المساهمة و التي يعبر عنها الجابري بأن يطغى الأنا العصبي على الأنا الفردي " فالرئيس معهم و فوقهم في آن واحد ، فهو معهم من حيث أن العصبة ككل تقوم على المساواة في الحقوق و الواجبات ، وفوقهم لأنه يحظى بتقديرهم و احترامهم "[2]، ويؤدي هذا إلى نشأة الأرستقراطية و هي المرحلة الثانية ، أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الهرم و الاضمحلال و الذي يمتاز بالأزمات الاقتصادية و الحروب القبيلة و الصراع على السلطة .

[1] Yves lacoste: géographie du sous-développement, p.u.f troisième édition , paris ,1976 P127

[2] الجابري : المرجع السابق ، ص 276.

القبيلة عند المؤرخين المحدثين :

يرى عبد الله العروي [1] أنها تعبر عن مضامين مختلفة فهي تطلق على تنظيم البدو الرحل الذي يلائم وحدة المحيط الصحراوي الصرف ، ويطلق كذلك على سكان الجبال أي أنها مخصوصة بقواعد تخص المعيشة و كذا علاقتها بالسلطة ، و يكون هدفها المحافظة على التوازن بين الأسر ، كما تطلق على قاطني الهضاب و السهول .

وهناك من يقول أن القبيلة هي في الواقع تنوع واختلاف داخل تركيبة أفرز الشعور بالقرابة وغذّاه، وذلك من اجل بناء وحدة بشرية وشعورية منسجمة وقادرة على مواجهة مختلف أنواع التحديات الداخلية منها والخارجية، غير أن هذه الحقيقة لا تتنافى مع وجود قرابة دموية فعلية تربط أفراد ومجموعات القبيلة أو العرش [2].

القبيلة في نظر الأنثروبولوجيا :

يعرف بعض علماء الأنثروبولوجيا على أنها الوحدة الاجتماعية التي تجمع عدة عشائر أو مجتمعات [3] ، وهي مصطلح يستخدم للدلالة على مجتمعات خليط ، له طرقه الخاصة في المحافظة على النظام الاجتماعي دون وجود سلطة سياسية مركزية [4].

---

[1] مجمل تاريخ المغرب ، ط5 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب 1996 ، ص 99 .

[2] الأزهر الماجري : قبائل (ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي) ، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ، 2005 ، ص513.

[3] عاطف وصفي : الأنثروبولوجية الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص113.

[4] بيار بونت ، ميشال إبراز : معجم الأنطولوجيا و الأنثروبولوجيا ، تر مصباح الصمد ، ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات ، المعهد العلي العربي للترجمة ، الجزائر ،2006 ، ص247 .

و قد تأثرت القبيلة و التنظيمات القرابية بعلاقة المصاهرة و الزواج بروابط بين العشائر و الذي يعززها أكثر الانحدار من جد واحد [1].

فالقبيلة عند الأنثروبولوجيون تقوم على أساس التجمع و التنوع ، وما يعزز تلاحمها الانحدار من جد واحد ، وهي لا تخضع للسلطة المركزية .

القبيلة و علم الاجتماع :

نالت القبيلة حضا وافر لدى علماء الاجتماع ، فعرفها بعضهم على أنها : وحدة اجتماعية متماسكة تتكون من مجموعة من الأفراد يقطنون بقعة جغرافية معينة ، تتمتع بدرجة من الاستقلال السياسي ، ومن المكن أحيانا أن تنشطر القبيلة إلى اقسام مختلفة ، ويعود ذلك إلى اتساع المساحة الجغرافية مقارنة بتعداد القبيلة الذين يملكون لغة واحدة و بلهجة معينة تختلف عن لهجات القبائل الأخرى التي تتكلم اللغة نفسها [2].

و يعرفها فريدريك معتوق[3] أنها عبارة عن تجمع بشري كبير ينحدر من جد واحد ، و تربط بين أفراده علاقات قرابة و عصبية .

[1] محمد عبدو المجدوب : الانثروبولوجيا السياسية ، ط3 ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، ص 71.

[2] دنيك متيشل : معجم الاجتماع ، تر محمد الحسن ، دار الطليعة ، بيروت ، ص 247 .

[3] الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، 2012، ص123.

2- التنظيم :

شهد التنظيم القبلي في بلاد المغرب تنظيما دقيقا اعتبر اللبنة الأساسية لاستمرار القبيلة والمحافظة على تماسكها الجماعي [1]، و يعمل على تحديد الأدوار و المراكز التي يتولاها كل عضو في الجماعة [2] ، و نحن هنا نتساءل عن طبيعة هذه العلاقة .

تتكون القبيلة من وحدات بداية بالأسرة والتي عرفت بأنها " عشيرة الرجل و رهطه الأدنون لأنه يتقوى بهم " ، "و الأسرة عشيرة الرجل و أهل بيته " [3] ، و عرفها علماء الاجتماع بعدة تعاريف منها : تعريف وسترماك الذي نقله إحسان محمد الحسن فيقول أنها " تجمع طبيعي بين أشخاص انتظمتهم روابط الدم فألفوا وحدة مادية ومعنوية تعتبر من أصغر الوحدات الاجتماعية التي يعرفها المجتمع الإنساني " [4]،في حين عرفها إحسان محمد الحسن أنها عبارة عن منظمة اجتماعية تتكون من أفراد يرتبطون ببعضهم بروابط اجتماعية و أخلاقية ودموية و روحية [5] ، و عرفت الأسرة عدة تسميات تشير إليها على اعتبار أنها أصغر تشكيلة

---

[1] محمد عبدو محجوب : الانثروبولوجيا السياسية ، ط3 ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة ، 2009 ، ص 64 .

[2] معن خليل و آخرون : المدخل إلى علم الاجتماع ، ط1 ، دار الشروق ، عمان الأردن ، ص 92 .

[3] ابن منظور :المصدر السابق ، ج4 ،ص19

[4] إحسان محمد الحسن : العائلة والقرابة و الزواج ، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة و القرابة والزواج في المجتمع العربي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981 ص 11.

[5] نفسه ، ص09 .

أو جـــماعـــة في المجتــــمع [1] ومنــــها الأهــل [2]،البيت[3] ،الجماعة [4] والدار[5] ، والأسرة [6] ، والعائلة [7] ،و الواضح أن جميع المصطلحات السابقة تشير إلى مفاهيم ترتبط بالمجموعة البشرية الصغيرة التي تربطها قرابة دموية شديدة [8] ، فهي عادة تتكون من أب وزوجة أو عدة زوجات و أبناء[9].

ثم تتسع الأسر ة لتصبح عشيرة ثم إلى فخذ ثم إلى بطن ثم إلى العمارة ثم إلى قبيلة [10].

---

[1] محماد لطيف : بنية الأسرة البدوية وخصائصها في المغرب الأقصى خلال القرنين 8-9هـ/14-15م مقال في، كتاب الأسرة البدوية في تاريخ المغرب، تنسيق الباضوية بلكامل و أخريات ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل القنيطرة المملكة المغربية ، منشورات مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية ،ط1 ، 2006 ص47 .

[2] عبد الحق الباديسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تح سعيد أعراب ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1993، ص108

[3] ابن خلدون : المقدمة ص95.

[4] أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، دراسة وتح زهراء النظام ، ط1 ،منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، 1997 ص209.

[5] الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ،الرباط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981. ،ج1 ص225

[6] نفسه ، ج9 ، ص250

[7] محمد بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تعليق ، ماريا خيسوس بيغيرا ،تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981.ص193.

[8] محمد لطيف : المرجع السابق ، ص49.

[9] إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة ، بيروت ، ص231.

[10] النويري : المصدر السابق ، ج2،ص296.

هذا بالنسبة لكيفية تشكل التركيبة الاجتماعية للقبيلة ، أما في يخص طريقة تسير وتنفيذ القرارات ، فإن التشكيل يأتي في هرمه شيخ القبيلة أو الزعيم أو كما يسمى الأمغار [1]فلكل قبيلة رئيس يكون فيهم ومنهم [2] ، و أهل القبيلة يخلصون له الطاعة و لا يخالفون له أمرا [3] وسبب في ذلك الوقار و التجلة التي يكنونها في نفوسهم للشيخ [4].

و هناك مجموعة من الشروط وجب توفرها في الشيخ المسؤول منها أن يتصف بالشجاعة و الكرم ، و يكون عريق النسب في القبيلة و رجاحة العقل و الحلم و الهيبة و قوة الشخصية ، ومن ذوي العصبيات القوية [5]، و الملاحظ على الزعامة أنها تكون وراثية في الغالب [6]

أما مسؤوليات شيخ القبيلة فهي المحافظة على الوحدة و الانسجام داخلها و تنفيذ القرارات و العقوبات و النظر في الشكاوى ، و كذا تجهيز الجيش للحرب في حالة وقوع عدوان على القبيلة [7].

و كان لشيخ القبيلة مجلس يساعده في تسير شؤون القبيلة وفقا للأعراف و التقاليد الموروثة ، ويكون مقره في بيت شيخ القبيلة أوفي ديوانها أو في دار الضيافة ، وبإمكان أفراد

---

[1] بوتشيش : المرجع السابق ، ص 234

[2] مؤلف مجهول : مفاخر البربر ،تح عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق للطباعة ، الرباط ، 2005 ، ص196.

[3] ابن حوقل : صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت ، ص97.

[4] ابن خلدون : المقدمة ، ص137.

[5] محمد عابد الجابري : المرجع السابق ،ص25

[6] النويري : المصدر السابق ،ج24،ص85.

[7] خلفات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرن 6-9 هـ/ 12-15م دراسة في دورها السياسي و الحضاري ، الأمل للطباعة و النشر ، تيزي وزو ، 2011 ،ص 71 .

القبيلة حضور مجلس القبيلة و إبداء رأيهم ، ومن مهام مجلس القبيلة معالجة المسائل المتعلقة بالحياة الاجتماعية كفك النزاعات بين الأفراد هذا داخليا ، أما خارجيا فيعالج المسائل التي تتعلق بأمن القبيلة كالثأر و التحالف و الغزو [1]، ويقع اختيارهم من رؤساء القبائل، حسب معايير محددة تقتضي الشجاعة في القتال والسعة المالية ، كما يشترط أن يكون المرشح من أبناء القبيلة القدامى ويعين العضو مدى الحياة.

أمـــا العـــامة فتكون المســاواة هي المعــيار بينـــها ، حيث كـــان سكـــان القبيـلة يتوفـــرون في آن واحـــد على الأرض الواطـئـة و الأرض الجــبـلية ، ونظـــرا لاعتمـــاد السكـــان على تـربية المــاشية بشكل أســـاسي و لتضـــاؤل المـــاء في الشـــهور الجـــافة ، فقـــد تشكـــلت القرى و التجمعـــات السكـــانية في الغـالب فوق المرتفعـــــات و في منحـــدرات الجبــــال ، وذلـــك لتـــوفر الميـــاه [2]

[1] المرجع نفسه ،ص69،

[2] اعتبر الماء بالنسبة للقبيلة أهم مرتكز اقتصادي وذلك كون جل الخصومات داخل القبيلة كانت على الماء و هو ما أكده صاحب الاستبصار بقوله " إذا رأيت قوما يتخاصمون وقد علا الكلام بينهم ، فاعلم أنهم في أمر ماء " مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح سعد زغلول عبد الحميد ،دار الشؤون الثقافية العامة ،ص153 . و هو ما جعل الماء في القبيلة يقوم على ثلاثة أسس وهي " التشارك "" نفي الضرر "" العرف " سعيد بن حمادة : الماء و الإنسان في الأندلس خلال القرنين 7-8هـ /13-14م إسهام في دراسة المجال و المجتمع والذهنيات ، ط1 ، دار الطليعة بيروت ، 2007 ص19 والأساس الأول قام على أساس تشريع رباني لقوله تعالى " وَنَبِّئْهُم أَنَّ المَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُحْتَضَرْ " (سورة القمر الآية28) فيشترك الناس " في الماء لشفائهم و منافعهم من الاغتسال وغيره مما يرتفق فيه ، ويسقي دوابهم " سعيد بن حمادة : المرجع السابق ، ص19 ، وما يترتب عن ذلك من إباحة ومساواة في الانتفاع الونشريسي : المصدر السابق ،ج8،ص35 لكن هذا لا يعني أبدا أن الحيازة الفردية للمياه منعدمة ، بل كان الهدف هو تقنين وترتيب استغلال المياه على حسب نوعية الماء ، لهذا سعى الفقهاء جاهدين من أجل التميز بين حاجة الإنسان والحيوان إلى الشرب والسقي و الري ثم الطحن سعيد بن حمادة : المرجع السابق ،ص20 أما دفع الضرر فيكمن في حماية الشركاء لأن أهميته تبرز عند نشوب النزاعات مما جعل منه مقياسا لفض النزاعات الونشريسي : المصدر السابق ،ج8 ،ص 382 أما العرف فكان في حالات قليلة وجرت به عادة السكان في =

للـــشرب و ســـقي الحقـــول و المـــزارع العائلية ، وكذا توفر المراعي و النباتات العفوية [1].

بعض المناطق على خلاف ما اشتهر في المذهب المالكي وكله يدخل تحت العرف الذي يعتبر مصدرا من مصادر التشريع محمد حجي : نظرات في النوازل الفقهية ،ط1 ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1999،ص 149 لقوله تعالى " خُذِّ العَفوَ و أَمُرْ بالعرُفِ و أَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ" (سورة الأعراف الآية 199)

[1] المختار الهراس :القبيلة و السلطة ، تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب ، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي و التقني ، مطبعة الرسالة ، الرباط ، ص 93.

البربر التعريف الأصول و الأقسام :

التعريف :

" هذا جيل من الآدميين سكان المغرب القديم ملئوا البسائط و الجبال من تلوله وأريافه و ضواحيه وأمصاره ،وهم أمم لا تحصى ،ينسب كل إلى وضع القبيل الذي تنزله "[1].

أصول البربر :

تضاربت الروايات حول أصول البربر بين المؤرخين ، وربما سبب هذا التضارب كون أصول البربر مختلفة فهم عبارة عن مزيج من الأجناس انصهر ع بعضه البعض عبر عصور من الزمان [2]، وحسب المؤرخين فإن أصولهم تعود إلى :

الأصل الأوربي :

يرى بعض المؤرخين الأوربيين أنأصل البربر يرجع إلى الأصل الهندو أوربي أي أن أصلهم يافثي ينتسب إلى يافث بن نوح ، واستندوا في ذلك إلى الخصائص البشرية و كثافة الشعر

---

[1] ابن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تقديم عبادة كحيلة ،، ج6 ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2007 ،ص176 .

[2] الدراجي بوزيان : القبائل الأمازيغة أدوارها مواطنها أعيانها ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007 ، ص34.

[1]، و الجدير بالذكر هنا أن هذه النظرية ظهرت أثناء الحقبة الإستعمارية في الجزائر تبنتها المدرسة الاستعمارية وكان الهدف منها شرعنة الاستعمار الفرنسي في الجزائر .

الأصل السامي :

أي أن أصولهم ترجع إلى سام بن نوح عليه السلام ، وقد كانت اليمن موطن السامين مغطاة بالثلوج في العصور القديمة ، ولما انحصرت الثلوج و اشتدت الحرارة ، تفرق الجنس الشامي في الكثير من المناطق منها شمال إفريقيا [2].

الأصل الحامي :

أي أنهم من أبناء حام بن نوح عليه السلام ، سبب انتقالهم إلى بلاد المغرب هي كثرت نزاعاتهم مع الساميين ، و قد نزل قبط بن حام في مصر ، ومنها انتقل أبنائه إلى بلاد المغرب [3].

ومن خلال تعدد هذه الرويات يمكن لنا أن نستنتج أن البحث عن أصول البربر يعتبر من المشكلات التي تواجه الباحثين ، و يكون السبب وراء هذا التضليل كون البحث في أصول البربر بني بناء على إيديولوجيات تسعى إن تبيان حق الاستقرار على أرض البربر .

---

[1] شنعة خديجة : اعتناق البربر للإسلام ، مذكرة ماجستير في التاريخ ، جامعة وهران ، السنةالجامعية 2011-2012 ،ص 13

[2] محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ،ط1 ،ج1 ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، 1963 ، ص31 .

[3] السلاوي : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، تح و تعليق جعفر الناصري و الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء ، المغرب ، 1954 ،ص60

أقسام البربر :

البرانس : و هم من ولد برنس بر بن مازيغ [1]، وهناك من رأى أنهم سميوا بالبرانس لأنهم كانوا يلبسون برانس طويلة [2]، و كان البرانس أكثر حضارة لأنهم مستقرين بالقرب من مدن و يمارسون الزراعة والغراسة [3]

لواتة من البربر سكن منهم بجبل أوراس أمة عظيمة مع قبائل هوّارة وكتامة ، كما كانت لهم أمّة عظيمة بضواحي تاهرت إلى ناحية القبلة [4].

مَغِيلة تواجدوا بالمغرب الأوسط عند مصب شلف في البحر من ضواحي مازونة [5] .

مديونة و هم من إخوة مَغِيلة و مواطن جمهورهم بنواحي تلمسان ما بين جبل بني راشد لهذا العهد إلى الجبل المعروف مديونة قبلة وجدة، وكان بنو يلومي وبنو يفرن من قبلهم يجاورونهم من ناحية المشرق، ومكناسة من ناحية المغرب، وكومية وولهاصة من جهة الساحل[6].

كومية وهم المعروفون قديماً بصطفورة ، وهم من ولد فاتن ولهم ثلاث بطون وهي ندرومة وصفاره وبنو يلول فمن ندرومة نغوطة وحرسة وفردة وهفانة وفراتة ومن صفارة

---

[1] ابن خلدون : العبر ، ص118

[2] ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ،ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1983، ص495 .

[3] موسى لقبال : المرجع السابق ، ص162 .

[4] ابن خلدون : العبر ،ج6 ص117.

[5] نفسه ص 125.

[6] نفسه ص 125.

ماتيلة وبنو حياسة ومن بني يلول مسيفة ووتيوة وهبيئة وهيوارة ووالغة...أما مواطنهم بالمغرب الأوسط لسيف البحر من ناحية أرشكول وتلمسان [1] .

زواوة ، وقد يقال إن زواوة من قبائل كتامة، و لهم بطونا كثيرة وهي بنو مجْسطة وبنو مليكش وبنو كوفي ومشدالة وبنو زريقف وبنو كوزيت وكرسفينة ووزلجة وخوجة وزكلاوه وبنو مرانة، ويقال إن بني مليكش من صنهاجة ومواطن زواوة بنواحي بجاية ما بين مواطن قبائل كتامة وصنهاجة، سكنوا جبالا شاهقة و وعّرة بين بجاية ودلس [2].

و من قبائل البربر هوّارة و الذين سكنوا أرياف المغرب الأوسط ومن مواطنهم جبل هوارة و هو الجبل المطل على البطحاء ، و سكن فيه من بطون هوارة مسراتة وغيرهم من بطونهم [3].

و توجد قبيلة أزداجة ويسمون أيضا وزداجة و هي من البربر البرانس، ويذكر ابن خلدون أن نسّابة البربر يعدونهم في بطون زناتة و يفرقون بين أزداجة و وزداجة فيرون أن أزداجة من زناتة ووزداجة من هوّارة، أما مناطق سكناهم بالمغرب الأوسط فبناحية وهران[4].

---

[1] البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من المسالك و الممالك ، نشره مع الترجمة الفرنسية كولين دوسلان ، مكتبة أمريكا و الشرق ، باريس 1965 ،ص 80 ، ابن خلدون : المصدر نفسه ص126.

[2] ابن خلدون : المصدر نفسه ص 128، مارمول كربخال: كتاب إفريقيا ، تر محمد حجي و آخرون ،ج1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط ، 1984 ، ص 92.

[3] البكري : المصدر السابق ص 59 ، الإدريسي : القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تح و تقديم إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ص 154 ، ابن خلدون : المصدر نفسه ص144 ، مارمول كربخال : المصدر نفسه ص 91 .

[4] ابن خلدون : المصدر نفسه ص144.

قبيلة عجيسة وهم بطون البرانس من ولد عجيسة من برنس ، استقروا في الجبال المطلة على المسيلة، ومنهم من سكن في جبل القلعة [1].

ومن القبائل كتامة و هي من البربر البرانس أما أماكن استقرار هذه القبيلة فكانت من أرياف قسنطينة إلى تخوم بجاية غرباً إلى جبل أوراس، وكانت بتلك المواطن بلاد أكثرها لهم مثل أيكجان وسطيف وباغاية ونقاوس وبلزمة ويتكست وميلة وقسنطينة والسيكرة والقلّ وجيجل، من حدود جبل أوراس إلى سيف البحر ما بين بجاية وبونة [2].

و من البربر البرانس قبيلة صنهاجة " هذا القبيل من أوفر قبائل البربر، وهو أكثر أهل المغرب لهذا العهد وما قبله لا يكاد قطر من أقطاره يخلو من بطن من بطونهم في جبل أو بسيط، حتى لقد زعم كثير من الناس أنهم الثلث من أمم البربر" [3].

و لصنهاجة بطون عديدة سنذكر التي استقرت في المغرب الأوسط فقط .

بنو ملكان بن كرت و متنان وأنوغة وبنو عثمان وبنو مزغنة وبنو جعد وملكانة وبطوية وبنو يفرن وبنو خليل ، و مناطق استقرارهم بالمسيلة إلى حمزة إلى الجزائر والمدية ومليانة من مواطن بني يزيد وحصين والعطاف. [4]

البربر البتر: و هم من ولد مادغيس الأبتر بن بر بن مازيغ فكان التقسيم على أساس سلالتهم [5] ، وهناك من المؤرخين من قسم البربر على أساس اجتماعي فالبتر كانوا يلبسون ثيابا مبتورة لهذا سميوا بالبتر [6] ، وهناك من اعتمد على النمط الاقتصادي في التقسيم

---

[1] نفسه ، ص 145

[2] الإدريسي : المصدر السابق ، ص 170 ، ابن خلدون : المصدر نفسه ص 148 ،

[3] ابن خلدون : المصدر نفسه ص 152 ، مارمول كربخال : المصدر السابق ص 91 .

[4] ابن خلدون : المصدر نفسه ص 153.

[5] نفسه ، 164.

[6] ابن حزم المصدر السابق ، ص

فاعتبر أن البتر كانوا يعيشون وفقط أنماط بدوية سكنوا الجبال و المناطق البعيدة و اعتمدوا الرعي و يضمون القبائل التالية .

زناتة من قبائل البربر البتر ومواطنهم في كل بلاد بأفريقية والمغرب ففي جبل أوراس بقايا منهم من سكنوا مع العرب الهلاليين ، وأذعنوا لحكمهم والأكثر منهم بالمغرب الأوسط، حتى أنه ينسب إليهم ويعرف بهم فيقال: وطن زناتة [1] .

ومن أشهر بطون زناتة بني يفرن "وبنو يفرن هؤلاء من شعوب زناتة، وأوسع بطونهم، وهم عند نسابة زناتة بنو يفرن بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا، وإخوته مغراوة وبنو يرنيان وبنو واسين، والكل بنو يصلتين " [2].

وأما شعوبهم فكثير، ومن أشهرهم بنو واركوا ومرنجيصة و المناطق التي سكنوها جبل أوراس وبنواحي تلمسان إلى جبل بني راشد ، وهم الذين اختطوا مدينة تلمسان [3] .

و من بطون زناتة قبيلة مغراوة التي قال عنها ابن خلدون " هؤلاء القبائل من مغراوة كانوا أوسع بطون زناتة " "ينتسبون إلى مغراو بن يصلتين بن مسرا بن زاكيا بن ورسيك بن الديرت بن جانا، وإخوة بني يفرن وبنو يرنيان "[4].

ومن أشهر قبائل مغراوة بني سنجاس وريغة و لقواط وبني ورا ، فأما بنو سنجاس فلهم مواطن في المغرب الأوسط في جبل راشد وجبل كريكرة وبعمل الزاب وبعمل شلف ومن بطونهم بنو غيار ببلاد شلف أيضا، وبنو غيار بعمل قسنطينة وكان بنو سنجاس هؤلاء من أوسع القبائل وأكثرهم ، ومن سكن من هذه القبائل في جبل بني راشد من الممتنعين عن دفع الضرائب إلى أن تغلب على مناطقهم العمور من الهلاليين، ونزلوا معهم وملكوا

---

[1] الإدريسي : المصدر السابق ، ص 157 ، ابن خلدون : المصدر نفسه، ج7 ص 3 ، مارمول كربخال : المصدر السابق ، ج1 ، ص 90 ، 91 .

[2] ابن خلدون : المصدر نفسه ص 11.

[3] نفسه ص11،12.

[4] نفسه ص 24 ، مارمول كربخال : المصدر السابق ص 91 .

عليهم أمرهم وصاروا لهم فيئا ، ومنهم من نزل بالزاب، و كانوا يختلفون عن أهل جبل بني راشد في دفع الضرائب لمن غلب على ثغورهم من مشايخهم ، وأما من نزل منهم ببلاد شلف ونواحي قسنطينة، فهم في عهد الدراسة أهل مغارم للدولة، ومن بني سنجاس هؤلاء بأرض المشنتل ما بين الزاب وجبل راشد، أوطنوا جباله في جوار غمرة وصاروا عند تغلب الهلاليين في ملكهم يقبضون الأتاوة منهم " ونزل معهم لهذا العهد السحارى من بطون عروة من زغبة، وغلبوهم على أمرهم وأصاروهم خولا "[1].

وأما بنو ريغة فسكنوا من جبل عياض إلى نقاوس، وكان الذين يسكنون بجبل عياض يدفعون ضرائبهم إلى أمرائهم الذين يدفعونها إلى الدولة الغالبة ببجاية، وأما من كان ببسيط نقاوس فهم تابعين إلى العرب ، و هناك من سكن منهم ما بين قصور الزاب وواركلا،" فاختطوا قرى كثيرة في عدوة واد ينحدر من الغرب إلى الشرق، ويشتمل على المصر الكبير والقرية المتوسطة، والأطم قد رف عليها الشجر ونضدت حفافيها النخيل، وانساحت خلالها المياه وزهت بنابعها الصحراء، وكثر في قصورها العمران من ريغة هؤلاء "[2].

وأما لقواط فهم في نواحي الصحراء ما بين الزاب وجبل راشد، ولهم هنالك قصر مشهور بهم، فيه فريق من أعقابهم على سغب من العيش لتوغله في القفر، وهم من القبائل الممتنعة عن العرب[3].

ومن قبائل مغراوة بنو ورا ، وهم متشعبون ومفترقون بنواحي المغرب ، منهم من استقر ببلاد شلف، ومنهم بناحية قسنطينة ،وهم من القبائل التي تقدم ضرائب و جنود للدول،

---

[1] ابن خلدون : المصدر نفسه ص 47

[2] الإدريسي : المصدر السابق ، ص 155 ، ابن خلدون : المصدر نفسه ص 47

[3] ابن خلدون : نفسه ص48

و قد رُحل من كان مــنهم بمراكش إلى بـــلاد الشلف في عهد يوسف بن يعقوب سلطان بني مرين في بداية المائة الثامنة بسب خوفه من أن يقوموا بأعمال تخريبية [1] .

ومن بطون زناتة وجديجن وواغمرت وهم من ولد ورتنيص بن جانا، وكان لهم عدد وقوة، ومواطنهم مفترقة في بلاد زناتة فأما وجديجن فكان جمهورهم بأرياف المغرب الأوسط، ومواطنهم منه منداس ما بين بني يفرن من جانب الغرب، ولواتة من جانب القبلة في السرسو، ومطماطة من جانب الشرق في وانشريش [2].

وأمـا واغمـرت، ويسـميهم ابـن خلـدون غمـرت، فاسـتقروا في الجبـال إلى قبلـة بـلاد صنهاجة من المشنتل إلى الدوسن [3].

و بني واركلا من بطون زناتة كانوا قليلي العدد و مواطنهم قبلة بلاد الزاب، واختطوا المصر المعروف بهم على بعد ثماني مراحل من بسكرة، في القبلة عنها ميامنة إلى المغرب بنوها قصورا متقاربة الخطة ثم استبحر عمرانها، فائتلفت وصارت مصرا وكان معهم هنالك جماعة من بني زنداك من مغراوة [4] .

ومن بطون زناتة دمر و لهم عدة أفخاذ منها بني ورنيد و يستقرون بالجبل المطل على تلمسان، وقد استقروا قبل ذلك في سفح الجبل لكن مزاحمة بني راشد لهم جعلتهم ينتقلون إلى الجبل [5]، وكذا بني برزال وكانت مواطنهم بجبل سالات وما إليه من أعمال المسيلة[6].

---

[1] نفسه ص 48

[2] نفسه ص50.

[3] نفسه ص50.

[4] نفسه ص 51.

[5]نفسه ص52.

[6] نفسه ص53

و من بطون زناتة قبيلتا بني ومانوا وبني يلومي ، نسابتهم متفقون على أن يلومي وورتاجن الذي هو أبو مرين أخوان، وإن مديون أخوهما للأم، وبنو مرين يعترفون لهم بهذا النسب، ويوجبون لهم العصبية له ، وكانت هاتان القبيلتان من أوفر بطون زناتة وأشدهم شوكة ومواطنهم جميعاً بالمغرب الأوسط ، وبنو ومـــــانوا منهم إلى جهة الشرق عن وادي ميناس في منداس ومرات وما إليها من أسافل شلف، وبنو يلومي بالعدوة الغربية منه بالجعبات والبطحاء وسيك وسيرات وجبل هوارة، وبني راشد [1].

كما أن بني واسين من قبائل زناتة و مناطقهم بقصور مصاب على خمس مراحل من جبل تيطري في القبلة [2].

أما بني توجين فقد ملكوا القفر ما بين ملوية وأرض الزاب[3].

ما يمكن ملاحظته أن للبربر بطون متعددة و هذه البطون كانت تسكن في مناطق متجاورة و قد يسكن أكثر من بطن في منطقة واحدة وهنا يمكن أن نخلص إلى أن القبيلة القوية تسيطر على مناطق جديدة و ذلك يؤدي إلى انحصار القبيلة الأخرى ، ومن ثم ترد ذكر تمركز عدة قبائل في منطقة واحدة.

---

[1] نفسه ص 54

[2] نفسه ، ص59.

[3] نفسه ،ص 61

مفهوم الحركات المذهبية :

المذهب في اللغة على وزن مَفْعَلٌ من الذَّهابِ والمِذْهَبُ المعْتَقَد الذي يُذْهَبُ إليه وذَهَب فلانٌ لِذَهَبِه أَي لمِذْهَبِه الذي يَذْهَبُ فيه وحَكى اللحياني عن الكسائي ما يُدْرَى له أَينَ مَذْهَبٌ ولا يُدْرَى لَهُ ما مَذْهَبٌ أَي لا يُدْرَى أَين أَصلُه ويقال ذَهَبَ فُلانٌ مَذْهَباً حَسَناً[1].

أما اصطلاحا فيقصد بها الفرق الإسلامية و التي قسمت إلى فرق سياسية و فرق اعتقادية وليس معنى هذا أن الفرق السياسية لا تتناول مسائل اعتقادية كالخوارج الذين بحثوا مسألة مرتكب الكبيرة وحكمه في الدنيا والآخرة وعلاقة الإيمان بالعمل وغير ذلك من المسائل الاعتقادية البحتة [2] كما أن الفرق الاعتقادية قد تتناول أموراً سياسية ومن ذلك ما جاءت به المالكية في البيعة و الخلافة [3]، إذ ليست هناك حدود فاصلّة بين العقيدة والسياسة في الإسلام. ولكن وصف الفرقة بأنها سياسية أو اعتقادية يعود إلى الأساس الذى قامت عليه، والمنطلق الذى انبثقت منه- عند نشأتها الأولى- سياسيا كان أو اعتقادياً.

وتروى عدة أحاديث نسبت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن افتراق الأمة الإسلامية إلى عدة فرق منها ما روي عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال "افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة، وتفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة"[4].

---

[1] ابن منظور : المصدر السابق ،ج1،ص393.

[2] الشهرستاني : الملل و النحل ، تقديم صدقي جميل العطار ،دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت ،2005، ص98 .

[3] مالك بن أنس : الموطأ ، رواية يحي بن يحي الليثي ،ط1 ، دار الجوزي القاهرة ، 2011 ، ص 559.

[4] البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ،تح محمد عبد القادر عطا ،ج10،دار الباز ، مكة المكرمة ، 1994، ص208.

الحدود الجغرافية للمغرب الأوسط:

ليس من السهل على الباحث وضع خريطة دقيقة للحدود الجغرافية في العصر الوسيط نظرا لتداخل المناطق وعدم وجود حدود ثابتة للسلطات السياسية القائمة، وإذا تحدثنا عن المغرب الأوسط في العصر الوسيط فهو لم يخضع لسلطة واحدة بل تقاسمته عدد من الممالك والإمارات و انقسمت بذلك انتماءات سكانه السياسية، بل وحتى المذهبية جاعلة منه فسيفساء سياسية واجتماعية ودينية.

و حاول عدد من الجغرافيين وضع خريطة تقريبية للمنطقة فقال البعض هي الحد الفاصل بين بلاد إفريقية " تونس" وبلاد المغرب الأقصى واعتبر الحميري أنه يمتد " من واد يسمى مجمع وهو في نصف الطريق من مدينة مليانة إلى أول بلاد تازا من بلاد المغرب " [1] ، و انطلاقا من هذا وجدنا مناطق من المغرب الأوسط الشرقية تدخل في نطاق إفريقية .

و قد حاول أحد الباحثين ربط المصطلح بالواقع السياسي ، فقال إن المنطقة هي كل ما يدخل حاليا في نطاق الدولة الجزائرية التي رسمت حدودها من قبل الأتراك العثمانيين منذ القرن السادس عشر ثم من قبل الإدارة الفرنسية بعد ذلك حين وسعت نطاق هذه الدولة كما هي معروفة ومعترف بها حاليا [2] .

ونحن نأخذ في دراستنا هذه بالرأي الأخير على اعتبار شيوع هذا التفسير لدى عدد من الدارسين لتاريخ المغرب.

---

[1] الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح احسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان مطبعة هيدلبارغ ، بيروت ، 1984 ،ص135.

[2] أحمد عبيد : التاريخ الجزائري –تقيم و نقد – حالة الجزائر العثمانية ، مقال في مجلة إنسانيات ، العدد 47-48 ، 2010 ، مركز البحث في الإنثربولجية الاجتماعية و الثقافية ، وهران ص 73 .

الحركات المذهبية في بلاد المغرب الأوسط أسباب الظهور وطرق الانتشار :

عرف المغرب الأوسط ظهور العديد من الحركات المذهبية و التي ارتكزت على عصبيات قبلية للاستمرار ، وبذلك تمكنت بعض هذه القبائل من الانتقال من مرحلة القبيلة إلى مرحلة الملك ، وقد تنبه ابن خلدون إلى هذه القضية و عنون فصلا من مقدمته بقوله " أن الدعوة الدينية من غير عصبية لا تتم "[1] .

أسباب التسرب الحركات المذهبية إلى بلاد المغرب :

تعتبر السياسة التي اتبعها الولاة في بلاد المغرب أهم سبب في تسرب الفكر الخارجي إلى بلاد المغرب وسياسة الولاة هي تطبيق لسياسة الخليفة و من ذلك ما أمر به الخليفة الأموي يزيد بن عبد الملك بن مروان في رسالة إلى ولاته على الأقاليم فحواها " أما بعد فإن عمر كان مغرورا غررتموه أنتم و أصحابكم و قد رأيت كتبكم في أنكاد الخراج و الضريبة ، فإذا أتاكم كتابي هذا فدعوا ما كنتم تعرفون من عهده ،و أعيدوا الناس إلى طبقتهم الأولى أخصبوا أم أجدبوا ،أحبوا أم كرهوا ، حيوا أم ماتوا و السلام "[2] ، و قد عمد الولاة إلى تطبيق سياسة الخلفاء فقام يزيد بن أبي مسلم بتطبيق سياسة الحجاج بن يوسف الثقفي في العراق "عزم أن يسير بهم بسيرة الحجاج بن يوسف في أهل الاسلام الذين سكنوا الأمصار ممن كان أصله من السواد من أهل الذمة فأسلم بالعراق فردهم إلى قراهم ورستاقهم ووضع الجزية على رقابهم على نحو ما كانت تؤخذ منهم و هم على كفرهم "[3].

---

[1] المقدمة ،ص112 .

[2] ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ط1 ، ج5 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1404هـ ، ص 188 .

[3] الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط2 ،ج6 ، دار المعارف ، القاهرة 1971 ،ص 616

ومن سوء سيرة الولاة و كان له دخل مباشر في ولوج أفكار الخوارج إلى بلاد المغرب ما اقدم عليه يزيد بن أبي مسلم لما قام على المنبر خطيبا بقوله "أيها الناس إني قد رأيت أن أرسم اسم حرسي في أيديهم كما تفعل ملوك الروم بحرسها فأرسم في يمين الرجل اسمه و في يساره حرسي ليعرفوا في الناس بذلك من غيرهم فإذا وقفوا على أحد أسرع فيما أمرته به "[1] فلما سمع حرسه بذلك غضبوا و قالوا " جعلنا بمنزلة النصارى "[2]

و كانت سياسة استنزاف الثروات الاقتصادية سببا من اسباب اعتناق البربر للمذهب الخوارج حيث عمد الوالي الأموي عبيدة بن عبد الرحمن السلمي على تجميع ثروات طائلة للخليفة هشام بن عبد الملك وكان ذلك على حساب البربر متكونة من هدايا و طرف عظيمة إلى جانب الإماء و الجواري بلغت سبعمائة جارية مختارة ، وخصيان وخيل و دواب و ذهب و فضة " مما يذكر بأيام الفتح الأولى ، قبل دخول البلاد في حوزة الاسلام عندما كان المغرب أرض المغانم الكثيرة و السبي الجميل "[3].

و قد تواصلت هذه السياسة في عهد الوالي عبيد الله بن الحبحاب و الذي ركز حكمه لبلاد المغرب على الاجتهاد لجمع المال لسد مطالب و مطامع دار الخلافة في المشرق [4]و لأجل ذلك جهز حملة إلى بلاد السوس و إن كانت بعض المراجع ذكرت إنها رد أهل

[1] الرقيق القيرواني :تاريخ إفريقية و المغرب ، تح منجي الكعبي ، مطبعة رقيق السقطي تونس ، ص99

[2] المصدر نفسه ،ص100

[3] سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ،ج1، منشأة المعارف ، الاسكندرية ،ص 278.

[4] المرجع نفسه ، ص279 .

السوس لطاعته [1] ، إلا أن الرغبة في جمع الأموال و سبي البربريات كان هو السبب في تلك الغزوة ، خاصة إذا عرفنا أن الخليفة هشام بن عبد الملك كان مولعا بجمع المال [2] .

وقد كانت سياسة الولاة السابقة الذكر سببا مباشرة في تسرب الفكر الخارجي لبلاد المغرب و ذلك كون أفكار الخوارج تتماشى و طموح البربر.

---

[1] السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ص298،

[2] محمد علي دبوز : المرجع السابق ، ص214.

الخوارج الظهور و الانتشار في بلاد المغرب :

يعرف الخوارج على أنهم كل من خرج عن الإمام الحق الذي اتفقت عليه الجماعة يسمى خارجيا ، سواء كان الخروج في أيام الصحابة على الأئمة الراشدين ، أو كان بعدهم على التابعين و الأئمة في كل زمان [1]

لا يمكن تحديد تاريخ دقيق لظهور الخوارج ، و تعود البوادر الأولى إلى عهد النبي صلى الله عليه و سلم حيث روي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يقسم قسما أتاه ذو الخويصرة وهو رجل من بني تميم فقال يا رسول الله اعدل فقال ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل قد خبت وخسرت إن لم أكن أعدل فقال عمر يا رسول الله ائذن لي فيه فأضرب عنقه فقال دعه فإن له أصحابا يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرءون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ينظر إلى نصله فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى رصافه فما يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى نضيه وهو قدحه فلا يوجد فيه شيء ثم ينظر إلى قذذه فلا يوجد فيه شيء قد سبق الفرث والدم آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة أو مثل البضعة تدردر ويخرجون على حين فرقة من الناس قال أبو سعيد فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله صلى الله عليه وسلم وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت النبي صلى الله عليه وسلم الذي نعته [2].

---

[1] الشهرستاني : المصدر السابق ، ص 92 .

[2] البخاري : الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري ، تح مصطفى ديب البغا ، ط3 ،ج3 دار ابن كثير اليمامة ، بيروت 1987 ، ص1321 .

وبدأت المعالم الرئيسية لحركة الخوارج تظهر في خلافة عثمان بن عفان بظهور البوادر الأولى للمعارضة و تطورت تدريجيا حتى أفضت إلى قتله ، وتعتبر البصرة و الكوفة و مصر نقطة انطلاق المعارضة لسياسة عثمان و المركز الأساسي للثورة ضده [1].

و قد مثل دخول الثوار من مختلف الأمصار إلى المدينة سنة 35هـ تتويجا لتحركات سابقة انتهت بحصار عثمان ثم قتله ، و رغم وجود تنسيق بين قواد المعارضة إلا الدور الرئيس في قتل عثمان لعبه المصريون [2].

بعد مقتل عثمان بن عفان رضي الله عنه تم مبايعة علي بن أبي طالب خليفة و قد لعب زعماء المعارضة دورا في ذلك و خاصة الأشتر النخعي و حكيم بن جبلة العبدي [3]، ومن هذا كان هدف الثوار هو تغير الخليفة الذي رفضت تلبية مطالبهم .

بعد المبايعة ظهرت فتنة جديدة بين المسلمين تعرف في التاريخ الاسلامي بموقعة الجمل بين الخليفة علي بن أبي طالب من جهة و عائشة زوجة الرسول صلى الله عليه و سلم والصحابيان طلحة و الزبير من جهة أخرى حول دم عثمان و قد وقف الثوار إلى جانب علي ، وانتهت هذه الفتنة بعد مراجعة طلحة و الزبير و عائشة برجوعهم إلى بيعة علي ، فعمد المعارضون إلى قتل الزبير و طلحة [4].

---

[1] لطيفة البكاي :حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ) ،ط1 ، دار الطليعة ، بيروت 2001 ، ص 12

[2] نفسه ، ص 21.

[3] الطبري : المصدر السابق ، ج4 ، ص427.

[4] الشهرستاني : المصدر السابق ،ص20

بعد موقعة الجمل جاءت موقعة صفين و التي كانت بين علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان ، و كان جيش علي يضم مقاتلي البصرة و الكوفة ، و قد توقفت الحرب بين الجيشين لما رفع جيش معاوية المصاحف على السيوف أجبر من سيخرج على علي التحيكم و قالوا القوم يدعوننا إلى كتاب الله و أنت تدعونا إلى السيف ، حتى قال علي أنا أعلم بما في كتاب الله انفروا إلى بقية الأحزاب انفروا إلى من يقول كذب الله و رسوله وأنتم تقولون صدق الله و رسوله ، فقالوا لترجعن عن قتال المسلمين وإلا فعلنا بك ما فعلنا بعثمان فأمر علي بوقف القتال و أجبروه على اختيار أبو موسى الأشعري حكما [1] ، ومباشرة بعد التحكيم و كتابة وثيقة التحكيم رجعت تلك الفرقة إلى علي طالبة الرجوع إلى القتال فرفض ذلك فكان ذلك سبب الخروج عليه [2] ، متحججين في ذلك بقولهم لم حكمت الرجال لا حكم إلا لله [3].

بعد صفين اجتمعوا في النهروان و قاتلهم علي هناك و التي انتهت بانتصار جيش علي و هزيمة الخوارج و انقسامهم إلى فرقة عديدة و التي سيكون لهم تاريخ طويل سنتحدث عن ما يتعلق بالمغرب خاصة الصفرية و الاباضية .

أهم مبادئ الخوارج :

الخروج على الحاكم إذا خالف السنة واجبا .

بدعتهم في الامامة إذ جوزوا أن تكون الإمامة في غير قريش ، و هما ما سيرتكزان عليه في نشر مذهبهم في بلاد المغرب

[1] نفسه ، ص92 .

[2] لطيفة البكاي : المرجع السابق ، ص23 .

[3] الشهرستاني : المصدر السابق ،ص92 .

الخوارج في بلاد المغرب :

لا يمكن تحديد تاريخا دقيقا لدخول الخوارج إلى بلاد المغرب غير أن المرجح أنه كان في نهاية القرن الأول الهجري و بداية القرن الثاني الهجري .

و كان ذلك نتيجة لعوامل نذكر منها :

1- التطور السياسي الذي حدث للخوارج في بلاد المشرق في أواخر القرن الأول الهجري بعد فشل ثوراتهم و اضطرارهم إلى تغير سياساتهم و ذلك باتباع أسلوب الدعوة و التنظيم السياسي و كذا اختيار المناطق البعيدة عن مركز الخلافة ميداننا لنشاطهم [1]

2-الأحوال السياسية التي كانت عليها بلاد المغرب جراء سياسة الولاة كالفتن السياسية التي كانت بين القيسية واليمانية [2] و كذا تنافسهم على جمع المال من غير وجه من البربر لإرضاء الخلافة من جهة واشباعا لرغباتهم من جهة أخرى يضاف إلى ذلك اعتبار بلاد المغرب دار حرب حتى بعد اعتناق أهلها للإسلام [3] .

فقد كانت العوامل السابقة الذكر كفيلة باعتناق البربر لفكر الخوارج الداعي إلى المساواة بين العرب و البربر .

---

[1] محمود اسماعيل :الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط2 ، مكتبة الثقافة الدينية ، الدار البيضاء ، 1985 ، ص 23 .

[2] السيد عبد العزيز سالم : المرجع السابق ، ص 300

[3] المرجع نفسه ،ص 213.

غير أنه يجب التوضيح أن اعتناق البربر لفكر الخوارج لم يكن بعد قتل يزيد بن أبي مسلم كما تحدث بعض المؤرخين [1]،حيث ذكر الطبري أن البربر بعد قتلهم ليزيد راسلوا الخليفة يزيد بن عبد الملك بقولهم " إنا لم نخلع أيدينا من الطاعة؛ ولكن يزيد بن أبي مسلم سامنا ما لا يرضى الله والمسلمون فقتلناه وأعدنا عاملك فكتب أليهم يزيد بن عبد الملك إني لم أرض بما صنع يزيد بن أبي مسلم وأقر محمد بن زيد على إفريقية "[2] ، ولكن كان بعد رسالة ميسرة المطغري للخليفة هشام و هو ما صرح به ابن الأثير بقوله " لم يزل أهل افريقية، من أطوع أهل البلد واسمعهم إلى زمان هشام، حيث دب إليهم أهل العراق، فاستشاروهم وشقوا العصا وفرقوا بينهم إلى اليوم، وكانوا يقولون لا نخالف الأئمة بما تجنى العمال، فقالوا لهم إنما يعمل هؤلاء بأمر أولئك، فقالوا حتى نخبرهم فخرج ميسرة في بضعة وعشرين رجلا، فقدموا على هشام فلم يؤذن لهم فدخلوا على الأبرش، فقالوا أبلغ أمير المؤمنين أن أميرنا يغزو بنا وبجنده، فإذا غنمنا نفلهم ويقول هذا أخلص لجهادكم، وإذا حاصرنا مدينة قدمنا وأحضرهم ويقول هذا ازدياد في الأجر ومثلنا وكفى إخوانه ثم أنهم عمدوا إلى ماشيتنا فجعلوا يبقرون بطونها عن سخالها ويطلبون الفراء البيض لأمير المؤمنين، فيقولون ألف شاة في جلد فاحتملنا ذلك، ثم أنهم سامونا أن يأخذوا كل جميلة من بناتنا، فقلنا لم نجد هذا في كتاب ولا سنة ونحن مسلمون، فأحببنا أن نعلم عن أمير المؤمنين هذا أم لا؟ "[3].

---

[1] محمد الطالبي : استقلال المغرب ، مقال في كتاب تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثالث إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي إشراف م الفاسي و إ هربك ،ط2 ، منظمة الأئمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، اليونسكو ، مطبعة المكلس ، لبنان ،ص 281.

[2] الطبري : المصدر السابق ،ج6 ، ص615.

[3] ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تح عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ،ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1997 ،ص465 .

ومن كل هذا يمكن القول أن البربر رفضوا الظلم والإهانة حينما انحرف الولاة وعاملوهم بسوء. ولين نفضوا أيديهم من الخلافة الأموي، حينما يئسوا منها، فإن مثال الدولة الإسلامية الصالحة ظل ثابتا في أذهانهم وظلوا يتطلعون إلى تحقيقه، بصورة أو بأخرى. فلما حل بأرضهم دعاة المذهب الخارجي وخاطبوهم بمنطقهم البسيط والواضح المغالي في الديمقراطية، المتشدد في تحديد المسؤوليات والواجبات، لبوا الدعوة بصدق وحسن نية [1].

بعد تأكد البربر أن الولاة يطبقون سياسة الخلفاء قاموا بثورات على الولاة حملت تحت مضمونها أفكار الخوارج .

---

[1] محمد زنيبر : خطوة حاسمة في نشوء الدولة بالمغرب؛ الدولة الإدريسية ، مقال في دعوة الحق ، العدد274 ، إفريل 1989 ،منشورات وزارة الأوقاف و الشؤون الاسلامية ، الرباط ، ص 28.

التقاطع بين العصبية القبلية والحركة المذهبية الخارجية :

يعتبر الوضع الذي كان عليه المغرب الاسلامي قابلا للانفجار ، وهنا عمل دعاة الخوارج الصفرية على اختيار مكان الثورة في المغرب الأقصى لبعده عن عاصمة الولاية و كذا عصبتها فقد عمدوا إلى القبائل البترية كقبيلة مطغرة و زعيمها ميسرة الذي مثل الوفد البربري إلى الخليفة هشام كما سبق ،و الذي توجه بهم إلى طنجة و قتل عاملها عمر بن عبد الله المرادي، ثم بايعوه بالخلافة و دعوه بأمير المؤمنين فعين على طنجة عبد الأعلى بن حديج الافريقي و توجه جنوبا إلى السوس وقتل هناك اسماعيل بن عبيد الله بن الحبحاب ثم عاد إلى طنجة وهناك التقى بجيش الولاة ، و افترق الفريقان فأقدم البربر على قتل ميسرة [1]، و يرى ابن خلدون [2] أن سبب قتله يرجع إلى سوء سيرته ، بينما يرى موسى لقبال [3]أن السبب هو انسحاب ميسرة من الميدان خلافا لما كان عليه الخوارج وهو يعتبر انحرافا يدعوا إلى القتل .

بعد هذه الحادثة نقل الخوارج شؤون تسير أفكارهم إلى قبيلة زناتة ممثلة في شخص خالد بن حميد الزناتي وهو من هتورة إحدى بطون زناتة [4] الذي سعى إلى تنظيم جيشه في مواجهة جيوش الخلافة التي " تكاثرت عليهم البربر فانهزم العرب وكره خالد بن أبي حبيب أن يهرب فألقى بنفسه هو وأصحابه إلى الموت أنفة من الفرار. فقُتل ابن أبي حبيب ومن معه،

---

[1] محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص 70،71.

[2] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص 145.

[3] موسى لقبال : المغرب الاسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة و نظم ، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة 1969 ، ص 219 .

[4] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص 145 .

حتى لم يبق من أصحابه رجل واحد فقُتل في تلك الوقعة حماة العرب، وفرسانها، وكماتها وأبطالها فسميت الغزوة غزوة الأشراف "و كان ذلك سنة 123هـ[1] على وادي شلف و بذلك أصبح المغرب الأوسط هو ميدان نشاط الخوارج [2] ، بينما يرى أحد الباحثين أنها وقعت بالقرب من طنجة بالمغرب الأقصى سنة 122هـ [3].

و بعد غزوة الأشراف التقى الطرفان في موقعة بقدورة انتهت بهزيمة جيش العرب سنة 123أو سنة 124هـ [4].

بعد معركة بقدورة ظهر زعيم جديد لزناتة هو أبو قرة اليفرني [5] ، و هنا يمكننا أن نقول أن المذهب الصفري سيطر على المغرب و على الزناتيين و بذلك طغت زناتة على القبائل الأخرى، وهو ما يفسر انسحاب أتباع ميسرة المطغري لأنهم لم يكونوا يتمتعوا بعصبية يفرضون بها آرائهم على خالد بن حميد و زناتة فاختاروا الانسحاب ، و هذا ما يؤكده أيضا انسحاب خالد طريف أبو صالح زعيم زواغة لأن عددها كان ضئيلا مقارنة بعدد زناتة [6].

ثم صارت الأمور بعد ذلك في صراع الخوارج والخلافة يتبادل الطرفان فيه النصر والهزيمة حتى انتهت الدولة الأموية وأعقبتها الدولة العباسية ، وتضافرت جهود الإباضية والصفرية

---

[1] ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تح ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ، ط3 ،ج1، دار الثقافة، بيروت لبنان ، 1983 م ،ص54.

[2] محمد بن عميرة : المرجع السابق ، ص 71 .

[3] موسى لقبال : المرجع السابق ، ص 219 .

[4] محمد بن عميرة : المرجع السابق ، ص 74.

[5] ابن خلدون : المصدر السابق ،ج7 ،ص12 .

[6] محمد بن عميرة : المرجع السابق ، ص 76 .

للإطاحة بحكومة القيروان ، وأصبح هم الخليفة بالمشرق القضاء على هذه الثورات فكان يرسل الجيش تلو الاخر ، وقد ذكروا أن هذه الحروب منذ أن استعرت إلى أن تم القضاء عليها ، في عهد يزيد بن حاتم سنة 156هـ بلغت 375 موقعة[1].

الاباضية و العصبية القبلية :

انتقل مذهب الاباضية إلى بلاد المغرب بفضل الدعاة و يعتبر سلمة بن سعيد هو أول من نقل المذهب الإباضي إلى بلاد المغرب ، و قد انتقل إلى بلاد المغرب في أوائل القرن الثاني الهجري ، و قد تمكن من ايجاد قاعدة حاضنة لمذهبه فجمع بعض الطلبة و أرسلهم إلى المشرق سموا بحملة العلم الخمسة وهم عبد الرحمن بن رستم و عاصم بن جميل السدراتي و اسماعيل بن درار الغدامسي و أبو داود النفزاوي و أبو الخطاب عبد الأعلى المعافري [2]، وقد أجمع الاباضيون على مبايعة أبو الخطاب عبد الأعلى بالإمامة و استطاع الاستيلاء على مدينة طرابلس بدعم من قبيلة زناتة وهوارة [3]، وكان ذلك في نفس الوقت الذي استولت فيه قبيلة ورفجومة على القيروان وعاثوا فيها فسادا [4] و ربطوا دوابهم بالمسجد الجامع فعمد ابو الخطاب إلى القيروان وحررها من يد ورفجومة و عين عليها أحد حملة العلم الخمس و هو عبد الرحمن بن رستم [5].

---

[1] ابن خلدون : المصدر السابق ، ج6 ، ص 113 .

[2] موسى لقبال : المرجع السابق ، ص227.

[3] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص115.

[4] محمد بن عميرة : المرجع السابق ، ص 96.

[5] ابن خلدون : المصدر السابق ، ص115

و بعد رجوع أبو الخطاب إلى طرابلس وقعت معركة بينه و بين جيش الخلافة العباسية بقيادة ابن الأشعث انتهت بهزيمة الاباضية و مقتل أبو الخطاب ، ونتيجة لذلك خرج عبد الرحمن بن رستم من القيروان إلى المغرب الأوسط و تحصن بجبل سوفجج [1].

بعد فك الحصار توجه عبد الرحمن بن رستم إلى قبيلة لماية " و كان جمهورهم بالمغرب الأوسط موطنين بسحومة مما يلي الصحراء و لما سرى دين الخارجية في البربر أخذوا برأي الاباضية و دانوا به و انتحلوه و انتحله جيرانهم من مواطن تلك من لواتة و هوارة و كانوا بأرض السرسو قبلة منداس و زواغة الغرب عنهم و كانت مطماطة ومكناسة و زناتة جميعا في ناحية الجوف و الشرق فكانوا جميعا على ناحية الخارجية و على رأي الاباضية "[2] و سبب نزوله على لماية لحلف قديم بينه و بينهم فبايعوه بالخلافة [3]، و بذلك فعبد الرحمن بن رستم استند إلى عصبة لماية لتأسيس دولته رغم أنه لا ينتمي إلى تلك القبيلة و هو ما عبرنا عنه سابقا بالنسب الرمزي و بذلك امتزجت في هذه الدولة العصبية القبلية ممثلة في قبيلة لماية و الحركة المذهبية و المتمثلة في الاباضية ، رغم أن هناك من الباحثين من تكلم في نقده للنظرة الخلدونية حول قضية العصبية و أثرها في قيام الدول بقوله هناك دولة قامت في المغرب و لم تقم على عصبية أصحابها و هي الدولة الرستمية الاباضية بقيادة عبد الرحمن بن رستم الفارسي الأصل المنعدم العصبية و الذي اختير لمنصب الامامة تفاديا للنزاع عليها لعدم وجود عصبية له [4]، و يمكن هنا أن نرى تناقضا حيث أن عبد الرحمن بن رستم لما أدرك أنه يستحيل أن تأسس دولة بالدعوة الدينية وحدها (الحركة المذهبية)، عمد إلى

---

[1] محمد بن عميرة : المرجع السابق ،ص115.

[2] ابن خلدون : العبر ، ج6 ، ص120

[3] نفسه ، ص 121.

[4] الشيخ عدة : العصبية الدينية ودورها في قيام و أفول الدول الاسلامية المرابطية أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة ، جامعة وهران ، 2011-2012 ، ص 130 .

اصباغ الدعوة الدينية بالعصبية القبيلة فأقنع قبيلة لماية المتمذهبة بمذهبه بضرورة التكتل العصبي لإقامة الدولة .

و كانت تحالف قبلي مذهبي ضد الدولة الفاطمية تمثل في التحالف بين قبيلة زناتة وزعيم النكارية مخلد بن كداد اليفرني الزناتي المعروف بصاحب الحمار "هذا الرجل من بني واركو إخوة مرنجيصة، وكلهم من بطون يفرن وكنيته أبو يزيد، وأسمه مخلد بن كيداد، ولا يعلم من نسبه فيهم غير هذا"[1].

تمثل ثورة أبي يزيد من الناحية الاجتماعية حلقة من حلقات الصراع التقليدي بين البتر والبرانس ، فهي من جهة تعبر عن الترعة الاستقلالية للبربر البتر من الناحية السياسية، ومن جهة أخرى تمثل الصراع بين سكان البوادي وأهل القرار، كما أنها من الناحية الإقليمية تمثل أيضا صراعا بين الدولة الفاطمية والدولة الأموية في الأندلس وإن كانت جبهة هذا الصراع هي بلاد المغرب [2].

و قد استنفر أبو يزيد في ثورته على الفاطميين في بداية حربه زناتة ولواتة وهوارة وبني برزال ومغراوة وبني كملان، ومزاتة من الإباضيين النكار والوهبية، كما حاول أبو يزيد استنفار أتباع كافة المذاهب والفرق الناقمة على الشيعة، لذلك لم يعلن في البداية عن ميولاته المذهبية تقية منه، بل لقد أعلن أنه خرج غضبا لله[3].

---

[1] ابن خلدون : العبر ،ج7 ،ص16.

[2] محمود اسماعيل عبد الرازق : المرجع السابق ، ص 177.

[3] موسى رحماني : الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الاسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27-362هـ / 637-972م) دراسة إجتماعية ، رسالة ماجستير قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية 2006-2007 ، ص 106

و كان الهدف من ثورة صاحب الحمار و النكارية – السعي لقلب النظام الشيعي الفاطمي الفاسد الجائر على المسلمين بحسب نظرهم. وذلك باعتماد العنف المسلح لإسقاط الدولة وبذلك إقامة دولة المساواة النكارية المثالية يتساوى فيها جميع المسلمين، تقوم على الشورى والمساواة، و التي كانت منشد الخوارج و مبتغاهم منذ ظهورهم على الساحة الإسلامية [1] .

وبعد عرض هذه النماذج للتحالف العصبي المذهبي بين قبائل المغرب الأوسط و الحركة الخارجية يمكننا أن نرى بوضوح وجود ما يمكن أن نصطلح عليه بتقاطع المصالح فمثلا عبد الرحمن بن رستم اقتنع بضرورة اقامة كيان سياسي لمذهبه الخارجي و يكون ذلك بالارتكاز على عصبية قبيلة لماية و التي كانت تهدف بذلك إلى الظهور إلى مسرح تاريخ بلاد المغرب، و هو أيضا ما نلاحظه أيضا عند مخلد بن كداد و الذي ارتكز على قبيلته زناتة للتعبير عن مكنونات مذهبه رغم أنه في البداية تحالف مع المالكية إلا أنه و بمجرد تأكده من القضاء على الدولة الفاطمية تنكر للمالكية و نالوا منه ما نالوا من الشيعة .

---

[1] نفسه ، ص 107 .

التشيع الظهور و الانتشار :

اختلف في تاريخ ظهور التشيع فهناك من الباحثين من يرجعه إلى عهد النبي صلى الله عليه و سلم " فالشيعة هم فرقة علي على زمان الرسول صلى الله عليه و سلم و ما بعده "[1] ، و هو نفس ما ذهب إليه كاشف الغطاء [2] من أول من وضع بذرة التشيع في حقل الإسلام هو نفسه صاحب الشريعة الإسلامية ، وهو ما معاه أن التشيع و الإسلام على حسبه وضعت جنبا إلى جنب ، و لم يزل غارسها يتعهدها بالعناية حتى نمت و ازدهرت في حياته و أتت ثمارها بعد و فاته .

فحين يرى جمهور المؤرخين أنها ظهرت بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم ، وذلك على اعتبار أن أول خلاف حدث بين المسلمين كان عقب وفاة النبي صلى الله عليه و سلم و الذي تمحور حول من يكون خليفة للرسول صلى الله عليه وسلم ،و كان ذلك خلال اجتماع سقيفة بني ساعدة بين المهاجرين والأنصار [3] .

و قد تبلور عن اجتماع السقيفة ثلاثة أراء حيث رأى الأنصار أنهم أحق بخلافة الرسول صلى الله عليه و سلم و ذلك لأنهم آووه و نصروه [4] ، ورأى المهاجرون أنهم أولى بالخلافة لأنهم عشيرة النبي و الخلافة لا تصلح إلا في قريش ، و جماعة ثالثة تقول بخلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه و ذلك لعلمه وورعه و سابقته في الإسلام [5]، حيث قال الفضل

---

[1] محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفرق الإسلامية السياسي و الديني – الشيعة العربية و الزيدية – ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2002 ، ص137

[2] أصل الشيعة ، مكتبة العرفان ، بيروت ، ص63 .

[3] ابن خلدون : المقدمة ، ص401 .

[4] الطبري : المصدر السابق ، ج3 ،ص220.

[5] ابن كثير : البداية و النهاية ، ط1 ، دار المنابع للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2001 ، ص222.

بن العباس " يا معشر قريش ما حقت لكم الخلافة بالتمويه و نحن أهلها و صاحبنا أولى بها منك "[1].

و بعد التجاذبات التي كانت في السقيفة استقر أمر المسلمين على اختيار أبو بكر الصديق خليفة للمسلمين لكن هذا لا يعني أن المطالبين بخلافة علي توقفوا عن بعد البيعة و من ذلك ما أورده بعض المؤرخين من تأخر بعض المهاجرين و الأنصار عن بيعة أبو بكر ومنهم الزبير بن العوام و عتبة بن أبي لهب و أبو سفيان [2] ، كما غاب أيضا خالد بن سعيد بن أبي العاص و الذي غاب عن يوم السقيفة فأتى عليا و قال له " هلم أبايعك فو الله ما في الناس أولى بك من محمد " [3].

و رغم وجود بعض المعارضة لخلافة أبي بكر إلا أنها استمرت ، ثم جاءت بعده خلافة عمر بن الخطاب و لم تورد المصادر التاريخية معارضة علي أو مناصريه أي معارضة لخلافته ، و بعد وفاته جعل الخلافة شورى بين ستة من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم و استقر الأمر لعثمان بالخلافة .

تذكر المصادر أنه بعد توليت عثمان رأي رجل في مسجد رسول الله و هو يقول " و أعجبا لقريش و دفعهم هذا الأمر عن أهل بيت نبيه ، و فيه أول المؤمنين و ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وأفقهم ...والله لقد زووها عن الهادي المهتدي الطاهر النقي " فسئل من أنت و من هذا الرجل فأجاب أنا المقداد و هذا الرجل علي بن أبي طالب [4] .و

[1] اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، تح خليل منصور ، ط2 ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002 ، ص84 .

[2] نفسه ، ص84 .

[3] المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر ، ط5 ، ج2 ، دار الأندلس للنشر ، 1985 ، ص 307 .

[4] اليعقوبي : المصدر السابق ، ص 113.

إن كانا نشكل في هذا النص من حيث صدقه التاريخي كون الرجل الذي قال هذا الكلام هو المقداد بن الأسود و علم في المدينة لقرابته من الرسول صلى الله عليه و سلم فهو زوج ابنت عمه ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب و كان من السابقين في الإسلام ، وشهد عدة غزوات مع النبي صلى الله عليه سلم فكيف يسئل من أنت ، ثم يعرف بعلي بن أبي طالب و يقول وهذا علي فإذا كان علي غير معروف عند رواد مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فلا يحق له بالخلافة .

في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه حدثت فتنة انتهت بقتله سنة 35هـ ، و بقي الناس ثلاثة أيام بلا خليفة فأقبل الناس إلى علي و تراكمت عليه الجماعة فقال " لا حاجة لي في أمركم ، فمن اخترتم رضيت به " غير أنهم أصروا عليه في ذلك فقال :" أكون وزيرا خيرا من أكون أميرا " فألحوا عليه في ذلك و ألزموه القبول بالخلافة [1].

و هكذا تمت البيعة لعلي بن أبي طالب ، وكانت بيعته بغير إجماع لأن هناك من الصحابة من اعتزل البيعة من أمثال المغيرة بن أبي شعبة و صهيب بن سنان و أسامة بن زيد ، ومن هذا هناك من يرى أن التشيع ظهر بعد مقتل عثمان بن عفان حيث يقول ابن حزم [2] " ثم ولي عثمان و بقي اثني عشر عاما حتى مات ، و بموته حصل الاختلاف و بدأ أمر الروافض "

---

[1] ابن خلدون : العبر ، ج6 ،ص576 .

[2] الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، تح محمد إبراهيم نصرو و عبد الرحمن عميرة ، ط1 ، ج2 ، مكتبة عكاظ للنشر ، 1982 ، ص 80 .

في حين هناك من يرى أن التشيع لعلي بدأ في أواخر خلافة عثمان بعد أن كثرت عليه المآخذ و بالضبط إلى ظهور الحركة السبئية على اعتبار أن عبد الله بن سبأ هو أول من نادى بقداسة علي بن أبي طالب ، و هاجم الخلفاء الثلاثة الأوائل و اعتبرهم مغتصبين [1] .

في حين هناك من يرى أن الشيعة تكونت لما خالف طلحة و الزبير علي و طالبا بدم عثمان، فتسمى من اتبع علي في ذلك اليوم شيعة وكان علي يقول شيعتي فالنواة الأولى للتشيع هي موقعة الجمل [2].

و هناك فريق آخر يرى أن لفظ الشيعة يعود إلى موقعة صفين بين علي ومعاوية سنة 37هـ ووقوع التحكيم بما جاء نصه " هذا ما تقاضى عليه علي بن أبي طالب و معاوية بن أبي سفيان و شيعتهما من حاضر و غائب فيما تراضيا به من الحكم لكتاب الله و سنة نبيه ، و قضية علي من أهل العراق و من كان من شيعته ، و قضية معاوية من أهل الشام و من كان من شيعته " [3].

ومن الباحثين من يحاول أن يرجع تاريخ بداية التشيع إلى ما بعد موقعة كربلاء أي بعد استشهاد الحسين بن علي رضي الله عنه ، حيث شكل ذلك نقطة تحول هامة في التاريخ الفكري و العقدي للتشيع و ذلك بتوحيد صفوف الشيع بعدما كانوا متفرقين و بذلك اجتمع كل المنادين بالتشيع لعلي [4].

---

[1] صبري خدمتلي : العقيدة و الفرق الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 ، ص 66 .

[2] ابن النديم : الفهرست ، ط1 ، دار المعارف ، بيروت ، 1994 ، ص 117 .

[3] جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ط1 ، دار ابن خرج للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2003 ، ص 145 .

[4] صبري خدمتلي : المرجع السابق ، ص67 .

ومن كل ما سبق عرضه عن ما يقيل في بدايات ظهور التشيع فيمكن ضبط مفهوم الشيعة على أنها حسب ابن خلدون [1]الصحب و الأتباع . و هي لفظة أصلها المشايعة و هي المتابعة و المطاوعة [2].

و عرفت على أنها مشايعة و تقديم و مفاضلة علي على على سائر الصحابة فالشيعة هم أنصار علي بن أبي طالب رضي الله عنه [3] ، و اعتبروا أن الخلفاء الثلاثة الأوائل مغتصبين لحقه في الخلافة فهم في نظرهم غير شرعيين [4] مستدلين في ذلك بقولهم " ثلاثة لا يكلمهم الله يوم القيامة و لا يزكيهم و لهم عذاب أليم ، من ادعى إمامة ليس له ، ومن هجر إماما من عند الله و من وعم أن أبا بكر و عمر و عثمان لهم نصيب في الإسلام " [5].

ومن خلال ما عرضنها عن تكوين الشيعة رأينا لا يوجد اتفاق بين المؤرخين حول تاريخ ظهورها ، غير أن الاتفاق الذي كان بينهم أن شخص علي بن أبي طالب رضي الله عنه هو محور التشيع و القلقة القليلة هي من أرجعت تاريخ الظهور إلى عهد النبي صلى الله عليه وسلم ، فهناك من ربطها بسقيفة بني ساعدة و هناك من ربطها بأواخر خلافة عثمان وهناك من ربطها بموقعة الجمل و هناك من ربطها بصفين و من قرنها بمقتل الحسين في موقعة كربلاء و الملاحظ على هذه الحوادث فهي جلها تتعلق بشخص علي بن أبي طالب .

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، ص 347 .

[2] ابن منظور : المصدر السابق ، ج10 ، ص45 .

[3] الأشعري : مقالات الإسلاميين و إختلاف المصليين ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت ، ص89 .

[4] نبيلة حسن محمد : في تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2004 ، ص 331 .

[5] أحمد فريد : الفوائد البدعية في فضائل الصحابة و ذم الشيعة ، ط2 ، الدار السلفية للنشر و التوزيع ، الاسكندرية ، 2000 ، ص 107 .

أهم فرق الشيعة :

انقسمت الشيعة إلى عدة فرق و افتراقها انحصر في المبادئ و التعاليم فمنهم المتطرف المغالي في التشيع و الطاعن في كل من خالف علي بن أبي طالب رضي الله عنه و اعتبره من الكفار ومنهم المعتدل المتزن .

و للشيعة خمس فرق رئيسة : الكيسانية و الزيدية و الامامية و الغلاة و الاسماعيلية.

الكيسانية :هم أتباع مختار بن عبيد الثقفي الذي يدعى كيسان ، كان مولى لعلي بن أبي طالب [1] و قد انقسمت الكيسانية إلى أربعة فرق المختارية و الهاشمية و البيانية و الرازمية [2]، بينما يرى بعضهم أنها إحدى عشر فرقة [3].

و قد اتفقت فرق الكيسانية على القول بإمامة محمد بن الحنفية [4].

الزيدية : ظهرت هذه الفرقة يوم نهض زيد بن علي زين العابدين في الكوفة على هشام بن عبد الملك ، و اتبعه جماعة من أهل الكوفة ، و اتضح تأثير هذه الحركة في سنة 122هـ [5] بينما يرى بعض المؤرخين أنها ظهرت سنة 118هـ[6].

---

[1] الشهرستاني : المصدر السابق ، ص118 .

[2] نفسه ، ص119 .

[3] الأشعري : المصدر السابق ،ص91 .

[4] نفسه ، ص 91 .

[5] ابن خلدون : العبر ،ج3 ،ص118.

[6] الدينوري : الأخبار الطوال ،تح فكر فاروق الطباع ، دار الأرقم للطباعة و النشر ، ص 316 .

و الزيدية " ساقوا الإمامة على مذهبهم فيها ، و أنها باختيار أهل الحل و العقد لا بالنص ، فقالوا بإمامة علي ثم ابنه الحسن ثم أخيه الحسين ثم ابنه علي زين العابدين ، ثم ابنه زيد بن علي و هو صاحب هذا المذهب "[1].

وهم يعترفون بخلافة أبو بكر الصديق و عمر بن الخطاب رضي الله و يقولون أن بيعتهما صحيحة لأن علي رضي الله عنه ترك لهما ذلك ، و بذلك جوزوا إمامة المفضول في وجود الأفضل ، و لا يطعنون في الصحابة [2] ، كما أنهم يحرمون زواج المتعة وينكرون حلول روح الله في الإمام و لا ينتظرون عودة الإمام الغائب ، و يرون أنه بعد موت الإمام زيد يجب أن تكون الإمامة انتخابية و ليست وراثية [3].

الإمامية :و يسمون بالروافض أو الرافضة لرفضهم إمامة خلافة أبو بكر و عمر رضي الله عنهما بل وصل بهم الحد إلى التجريح فيهما و في كل من سار معهما من الصحابة ، و ذلك لأنهم لم ينفذوا وصية الرسول صلى الله عليه و سلم في خلافته بعد وفاته [4] .

و سموا بالامامة لقولهم بإمامة علي بن أبي طالب بعد النبي صلى الله عليه و سلم نصا ظاهرا و تعيننا صادقا من غير تعريض بالوصف بل بالإشارة إليه بالعين ، و قالوا ما كان في دين الإسلام أهم من تعين الإمام [5].

---

[1] ابن خلدون : المقدمة ، ص 187 .

[2] الأشعري : المصدر السابق ، ص144 .

[3] نبيلة حسن محمد :المرجع السابق ، ص 334 .

[4] نصر سليمان : الموجز في علم الحدث ، دار البعث ، قسنطينة ، 1997 ، ص55.

[5] الشهرساتاني : المصدر السابق ، ص 162 .

و تعتبر الإمامية علي بن أبي طالب رضي الله عنه و سلالته من الخلفاء حاقا إذ أن الإمام عندهم وريث الرسول صلى الله عليه و سلم ، و يتم تعينه بطريق إلاهي عن طريق وصية سرية تنتقل من إمام إلى آخر [1]، و هو ما يفسر قولهم أن النور الإلهي حل في آدم و الأنبياء من بعده واحدا و احد إلى حل في علي و انتقل في ذريته من بعده ، وذلك أن الأئمة هم الذين استودعهم الله أسرار الشريعة من أجل تبليغها للناس عبر مختلف الأزمنة و العصور [2] .

و قد انقسمت الإمامية بفعل اختلاف الرأي في تحديد الحق الوراثي بعد وفاة جعفر الصادق إلى فرقتين الاثنا عشرية و الاسماعيلية [3].

و الاثنا عشـــرية هي الفــرقة التي تقول بأن الإمـــام جعفر الصادق نص على الإمامة لولده الثاني موسى الكاظم بعد وفاة ابنه (ابن جعفر الصادق) البكر اسماعيل في حياة أبيه، ومن موسى الكاظم إلى علي الرضا إلى محمد الجواد إلى علي الهادي إلى الحسن العسكري فابنه محمد الإمام الثاني عشر و الذي يعتقدون أنه حي ولم يمت و إنما غاب وهم ينتظرون عودته [4].

أما الاسماعيلية فهي الفرقة التي تقول بإمامة اسماعيل بن جعفر الصادق فابنه محمد المكتوم و سنتعرض لهذه الفرقة بالتفصيل .

---

[1] نبيلة حسن محمد : المرجع السابق ، ص333.

[2] محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب لإسلامية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت ،1984 ،ص51 .

[3] حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام الديني و السياسي و الثقافي و الاجتماعي ،ط5 ، ج1 ، دار الجيل ، بيروت ،2001، ص 200 .

[4] أحمد حسن صبحي : الدعوة الفاطمية ، ط1 ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 2005 ، ص 124 .

الغلاة :سموا بالغلاة لأنهم غالوا في علي بن أبي طالب و قالوا فيه قولا عظيما [1]، و انتقلت المغالة إلى الأئمة بعده " حتى أخرجوهم من حدود الخليقية و حكموا فيهم بأحكام الإلهية فربما شبهوا واحدا من الأئمة بالإله و ربما شبهوا الإله بالخلق و هم على طرفي الغلو و التقصير "[2] ، ومن هذا جاءت العصمة لعلي رضي الله عنه ذلك أن نور الله حل فيه من بعد نبيه صلى الله عليه و سلم [3].

و بدع الغلاة محصورة في أربع أمور التشبيه ، البداء ، الرجعة ، التناسخ و قد انقسمت إلى احدى عشر فرقة [4].

---

[1] الأشعري : المصدر السابق ، ص66 .

[2] الشهرستاني : المصدر السابق ،ص139 .

[3] حسن إبراهيم حسن : المرجع السابق ، ص210 .

[4] الشهرستاني : المصدر السابق ، ص139 .

الاسماعيلية :فرقة من فرق الشيعة الإمامية ، ظهرت بعد موت جعفر الصادق سنة 148هـ /765م [1]، فائدة النص عندهم تثبت على اسماعيل بن جعفر الصادق بن محمد الباقر ، و إن كان مات قبل أبيه ، ثم ابنه محمد ، و عليه فالإمامة تكون في ولده لأن النص عندهم لا مرجع ورائه ز انتقال الإمامة منه إلى أولاده خاصة كما نص موسى و هارون عليهما السلام ثم مات هارون في حياة أخيه [2] .

و قد انقسم من الاسماعيلية إلى فرقتين الأولى زعمت أن الإمام بعد جعفر الصادق ابنه اسماعيل و أنكرت موت اسماعيل في حياة أبيه ، و قالوا كان ذلك من جهة التلبيس لأنه خاف عليه فغُيب عنهم ، وزعموا أنه لا يموت حتى يملك الأرض و يقوم بأمر الناس ، وهذه الفرقة هي الاسماعيلية الخالصة[3].

و الفرقة الثانية زعمت أن الإمام بعد جعفر الصادق هو محمد بن اسماعيل و قالوا أن الأمر كان لإسماعيل في حياة أبيه ، فلما توفي انتقل الأمر إلى ابنه لأن الإمامة لا تكون إلا في الأعقاب ، و لا تنتقل من أخ إلى أخ إلا من الحسن إلى الحسين ، و أصحاب هذا القول يسمون المباركية [4].

و الإمامة عند الإسماعيلية إمامتان إمامة الاستقرار و هي مرتبة الامامة و الوصاية ، و إمامة الاستيداع و هي مرتبة النبوة و الرسالة [5]، فالأولى تكون في نسل علي و فاطمة

---

[1] حسن علي محمد : قاموس المذاهب و الأديان ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1998 ،ص35 .

[2] الشهرستاني : المصدر السابق ، ص153.

[3] خير الدين الزركلي : الإعلام ، ج6 ، بيروت ، 1969 ، ص306 .

[4] علي سامي النشار : نشأة التشيع و تطوره ، ط4 ، مؤسسة الكتاب ، بيروت ، 1969 ،ص 171 .

[5] القاضي النعمان : دعائم الإسلام في ذكر الحلال و الحرام في القضايا و الأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه السلام و أفضل السلام . تح أصف بن علي أصغر فيضي ، ط1 ، دار المعارف القاهرة ، 1996 ، ص101 .

رضي الله عنهما و فيها يكون الإمام الناطق ، و الثانيةتكون في غيرهم لظروف معينة كميمون القداح و أبنائه [1]

تعتقد الاسماعيلية أنه قد مر على النبوة ستة أدوار عظمى ، و للدور معنيين دور كبيرو دور صغير ، فالدور الكبير يبدأ من آدم عليه السلام إلى القائم بأمر الله ، أما الدور الصغير فهو بين كل ناطق ، و يتقرر الدور سبعة أئمة مستقرين [2].

فمحور المذهب عند الإسماعيلية يقوم على العدد سبعة أما دون ذلك قيوم على العدد اثنا عشر ، و هم يستدلون في ذلك على أمور منها أن الله تعالى خلق النجوم التي بها قوام العالم سبعة ، و جعل السموات سبعة و الأراضين سبعة ، والبروج اثنا عشر ، و الشهور اثنا عشر [3].

انتشار الدعوة الإسماعيلية في بلاد المغرب :

تعتبر مهمة الإمام الأولى وهدفه الأساسي بناء و تكوين مجتمع يؤمن أفراده بمذهب الدولة و يعملون على نشره في المناطق الأخرى عن طريق التربية و التعليم و الدعاية و هوما يعرف تاريخيا بالتنظيم الدعوي [4].

---

[1] السجستاني : إثبات النبؤات ، تح و تقديم عارف ثامر ، منشورات المكتبة الكاثوليكية ، بيروت ، ص189 .

[2] مصطفى غالب : أعلام الإسماعيلية ، ط3 ، منشورات دار اليقضة العربية للتأليف و الترجمة و التوزيع ، بيروت ، 1979، ص34 .

[3] عارف تامر : حقيقة إخوان الصفا ،ط2 ، بيروت ، 1996 ، ص33 .

[4] المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح جمال الدين الشيال ، ط2 ، ج2 ، القاهرة ، 1996 ،ص 137 .

و مما لا شك فيه أن كل الفرق التي ذكرنها عرفت قيمة هذه الدعوة و ضرورة تنظيمها و ما لها من أهمية في تنوير العقول و التعريف بمبادئها و عقائدها ، و كذا الرد على الدعاية المضادة لها من قبل خصومها [1] ، و لأجل ذلك اعتمدت الإسماعيلية في نشر عقائدها على تنظيم دعوي دقيق خصصت له هيئة خاصة و ضم دعاء أكفاء ، فرض عليهم أن يكونوا ملمين بمختلف عقائد الفرق و المذاهب المعاصر لهم ، وأن تكونلهم قدرة كبيرة على التمويه و التلبيس ، و تقمص العديد من الأدوار و الشخصيات [2].

كان لهذا التنظيم الدعوي الدقيق الذي اختصت به الإسماعيلية دون غيرها المساهمة الفعالة في نجاح الحركة أثناء دور الستر أو الظهور [3].

استعمل القائمون على شؤون الدعوة الاسماعيلية التخفي في نشر دعوتهم ومبادئ مذهبهم خاصة في عهودها المبكرة ، و بذلك استطاعوا أن يعمموها في شكل خطوات تتدرج من المعلومات البسيطة إلى أن تصل بالمستجيب إلى مبادئ فلسفية عميقة لا يفهمها إلا قلة من الناس ، إضافة إلى أن هؤلاء برعوا في تنظيم خلاياهم تنظيما دقيقا فحملوا لواء البلاغة و تضلعوا في العلم وخصصوا لكل منهم مبادئ يلقنها إلى المستجيبين [4] .

بعد الاضطهاد الذي لحق بالإسماعيلية من قبل العباسيين ، اضطر أئمتهم إلى التستر و الذي يعرف عندهم بالتقية ، و يعد محمد بن إسماعيل هو أول أئمة الستر وقد سمي بالمكتوم ، وسمي خلفه بالمستورين في ذات الله ،أي الذين استتروا خوفا على أنفسهم لأنهم

---

[1] مصطفى غالب : المرجع السابق ، ص21 .

[2] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ،ج1 ص151 .

[3] مصطفى غالب : المرجع السابق ، ص28 ،

[4] عارف ثامر : القرامطة أصلهم نشأتهم حروبهم تاريخهم ، دار الحياة ، بيروت ، 1979 ،ص46 .

كانوا ملاحقين من العباسيين خاصة بعد فشل ثورات الشيعة المتكررة وتعرض أصحابها للقتل و الاضطهاد [1].

يضاف إلى ما سبق ذكره أن المدينة المنورة أصبحت في نظرهم مكانا غير آمن مما ترتب عليه استحالة بقائهم فيها ، وكان أئمة الاسماعيلية يظهرون دعاتهم الذين عرفوا غالبا بالحجج لنقل العقائد و نشرها بين الناس ، و يلجئون في تسترهم إلى وسائل عديدة فمثلا أولاد جعفر الصادق الأربعة وهم موسى وإسماعيل و محمد و عبد الله ادعوا الإمامة لأنفسهم لستر الإمام الحقيقي [2]، كما أن محمد بن اسماعيل المكتوم لجأ إلى وسيلة أخرى إذ اختفى مع شخص اسمه ميمون بن ديصان القداح ، كما تسمى الأئمة بغير أسمائهم كمحمد و عبد الله أو بأسماء حججهم الذين يعتبرونهم لواحق كسعيد ومبارك وميمون [3] .

و بعد فشل الاسماعيلية في إقامة دولة في المشرق تطلعوا إلى ذلك في بلاد المغرب ، فبدأت الدعوة بمرحلتين مرحلة الإعداد العقدي تولاها رجلان أبو سفيان والحلواني ، ومرحلة الدور العملي و قامت على أكتاف الداعي أبو عبد الله الشيعي المعروف بالصنعاني [4].

---

[1] محمد جمال الدين سيرور : الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية و مظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999،ص 17 .

[2] محمد عبد الله عنان : الحـاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية ، دار النشر الحديث ، القاهرة ، 1968 ، ص51 .

[3] عبد المنعم ماجد : الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1414 هـ /1994م ،ص 77 .

[4] محمد سهيل طقوش : تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية و مصر و بلاد الشام ، ط1 ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت 2001 ، ص63 .

ففي المرحلة الأولى بعثت القيادة في الشرق أبو سفيان و الحلواني إلى شمال إفريقية و أمرتهما بنشر الدعوة حيث قيل لهما " بالمغرب أرض بور فذهبا و حرثاها و مهداها حتى يجيئ صاحب البذر "[1] .

استقر أبو سفيان في قرية تالة الزراعية في الشمال الغربي من مدينة تونس ، وكانت تعتبر مركزا تجاريا هاما ، فابتنى بها مسجدا وتزوج فيها وعاش حياة زهد[2] .

و كانت وجهة الحلواني بلاد البربر حيث استقر بالناظور و هو جبل بجاية [3] ، و تعتبر هذه الجهة هي مشارف أرض كتامة أقوى قبائل تلك الناحية [4].

سلك الحلواني في دعوته نفس الأسلوب الذي سلكه أبو سفيان ، فاشتهر ذكره و أقبل الناس عليه و تشيع الكثير على يديه و خاصة من أهل كتامة ، و كان يعزى ذلك إلى أسباب عاطفية وجدانية تتمثل في حب آل البيت و الرغبة في الثأر لما أصابهم على يد الأمويين و العباسيين [5].

و قد عاش الحلواني دهرا طويلا ، ومات بالناظور و ارك عدد من أفراد أسرته و معارفه حضروا وصول الداعي أبو عبد الله الشيعي [6].

---

[1] ابن خلدون : العبر ، ج4 ،ص 45 .

[2] القاضي النعمان افتتاح الدعوة ، تح فرحات الدشراوي ،ط2 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986، ص27.

[3] ابن خلدون : العبر ،ج6 ، ص176.

[4] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص28 .

[5] موسى لقبال : تاريخ المغرب الإسلامي ، ط4 ، دار هونة ، الجزائر ، 2004 ، ص 172 .

[6] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص29 .

لما وصل خبر وفاة الحلواني و أبو سفيان إلى صاحب الدعوة في اليمن ابن حوشب قال لأبي عبد الله الشيعي " إن أرض المغرب من أهل كتامة قد حرثها أبو سفيان ، وقد ماتا و ليس لها غيرك فبادر فإنها موطئة ممهدة لك " ، وأعطاه مالا و سير معهه عبد الله بن أبي ملاحف حسب ما جرت عليه عادة الدعاة ، وغادر أبو عبد الله قاصدا إلى مكة التي وصلها في موسم حج 279هـ /891م فسأل عن حجاج كتامة الذين كان من بينهم حديث الجميلي و موسى بن مكارم اللذين تشيعا على يدي الحلواني [1].

و استطاع أبو عبد الله الشيعي أن يستميلهم إليه بسحر بيانه و فضل لسانه و ما أظهر لهم من حسن التدين ، فأعجبوا بزهده و عبادته فتعلقت قلوبهم به [2]، ولما حان وقت الرحيل سألوه عن أمره فقال " أنا رجل من أهل العراق و كنت أخدم السلطان ، ثم رأيت أن خدمته ليست من أعمال البر فتركتها ، و صرت أطلب المعيشة الحلال ، فلم أر لذلك سوى تعليم القرآن للصبيان و قد نصح لي بمصر " فرغبوا الرحيل معه و أصروا عليه ذك فانضم إليهم و أكرموا وفادته [3].

أثناء فترة الرحل استقى منهم بعض المعلومات المتعلقة بوضعهم السياسي و الاجتماعي وكل ما من شأنه أن يفيده في مهمته ، و لم يكشف لهم عن نواياه الحقيقية بل ضل يجتهد في تضليلهم ، و لما وصل إلى مصر تظاهر أنه يريد الإقامة فيها لممارسة التعليم ، فطلبوا منه أن يكمل معهم الطريق و يعلم صبيانهم ، غير أنه اعتذر لهم وقال " إن وجدت حاجتي بمصر

[1] ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، تح محمد شمام ، ط1 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1957 ، ص54 .

[2] ابن خلدون : العبر ، ج4 ، ص 39 .

[3] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ج1 ، ص135 .

أقمت بها ، و إلا ربما أصحبكم إلى القيروان " ثم غاب عنهم لفترة من الزمن متظاهرا بطلب حاجته ثم عاد إليهم مدعيا أنه لم يجد ما كان يرغب فيه [1].

كانت وجهة أبو عبد الله الشيعي ومن معه قبيلة كتامة التي دخلها سنة 280هـ ، و فيها سألهم عن فج الأخيار فأرشدوه إليه فقال " و الله ما سمي هذا الفج إلا بكم ، إن للمهدي هجرة تنمو عن الأوطان في زمان محنة و افتنان ، وفيه قوم مشتق اسمهم من الكتمان فأنتم مع كتامة و بخروجكم من هذا الفج يسمى فج الأخيار "[2] .

أقام أبو عبد الله مدة في إيكجان التي اتخذها دار هجرة له و بدأ في عملية الدعوة و لكن بنوع من الحذر في البداية ، حيث تظاهر بأنه معلم قرآن و كان يحصل من وراء هذه المهنة مال و فير لم يكن ينفق منه إلا عند الضرورة ، و قد سلك سياسة التدرج في بث المذهب الإسماعيلي فاستطاع كسب مجموعة من الصدقات مع زعماء القبائل و التفت حوله المجموعات ومن بينهم هارون بن يونس ، و الحسن بن هارون و أبو زاكي تمام بن معارك و سماهم الإخوان ، وبعد جمعه للناس ظهر على حقيقته و سارع إلى فرض المذهب الإسماعيلي ، و ابتدأ ذلك بمجرد دخول شهر رمضان حيث أمر بإسقاط صلاة التراويح وانتقد الناس لاقتدائهم بسنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في قيامه رمضان ، و تركهم سنة علي بن أبي طالب رضي الله عنه في زيادة حي على خير العمل في الآذان و قال لهم "اعملوا بمذهب أهل البيت و اتركوا الفضول "[3] .

---

[1] نفسه ، ص135

[2] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص48 .

[3] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، 136 .

و قد قويت شوكت أبي عبد الله الذي صار يدعوا إلى المهدي الذي يقول بأنه يخرج هذه الأيام و يملك الأرض ، و له كرامات من إحياء الموتى و رد الشمس من مغربها [1] .

[1] المقريزي : المصدر السابق ، ص348 .

العصبية القبلية و التشيع في بلاد المغرب :

قويت شوكة الدعوة الإسماعيلية بسبب عصبة كتامة ، فأصبح صاحب الدعوة يقوم بمجموعة من الأعمال تدل على ذلك إذ عمل إلى محاسبة الناس و تأديبهم بالسيف ، كما عمد إلى فبيلة كتامة فقسمها إلى أسباع و جعل على سبع منها عسكرا و قدم عليه مقدما، و أطلق بكل موضع داعيا و سمى المقدمين و الدعاة و المشايخ [1]، و نتيجة لقوة العصبية الكتامية فقد عمد إلى تسير الجيوش للسيطرة على العديد من المناطق ، فسيطرة على ميلة سنة 289هـ /901 م بعد أن قضى على حكم الأغالبة فيها و عين عليها أبا يوسف ماكنون ، ثم دخل سطيف 291هـ/903م و طبنة 393هـ/905م و هي من أكبر المدن الأغلبية و عين عليها يحي بن سليمان ، ومنها توجه إلى بلزمة ، ومنها توجه إلى باغاية ، وفي سنة 296هـ /908م دخل إلى مدينة رقادة عاصمة الدولة الأغلبية [2] ، و أول ما قام به أبطل ذكر اسم الخليفة العباسي على المنابر ، و بهذا زالت الدولة الأغلبية و بالتالي زوال سلطة العباسيين الإسمية و الفعلية على بلاد المغرب ، و قد أمر أبوعبد الله الأئمة على أن يخطبوا يوم الجمعة دون ذكر أحد ، وسك العملة فجعل على الوجه " بلغت حجة الله " و على الظهر " نفرق أعداء الله " كما أمر أن ينقش على السلاح " عدةفي سبيل الله " ووسم في أفخاذ الخيل " بالملك لله " و نقش على خاتمه " فتوكل على الله إنك على الحق المبين " [3].

---

[1] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص 52 .

[2] محمود السيد : تاريخ دول المغرب العربي لبيا تونس الجزائر موريتانيا ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2000 ،ص 151 .

[3] الصنهاجي : أخبار ملوك بني عبيد و سيرهم ، تح و تعليق جلول أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984 ، ص20 .

و ما دام هناك تقاطع واضح بين الشيعة الإسماعيلية والعصبية الكتامية ،فإن شروط قيام الإمامة عند الإسماعيلية مازالت ناقصة كون الإمام أو الخليفة مازال مغيبا و قد أدركت الخلافة العباسية ذلك فأرسلت إلى الولاة في مختلف الأقاليم القبض على إمام الإسماعيلية المستتر [1] ، وكان هذا سبب في هروبه في زي تاجر من السليمية إلى مصر أي وصله كتاب من أبو عبد الله الشيعي يستعجله المجيء إلى بلاد المغرب ، فخرج الإمام عبيد الله مع ابنه أبو القاسم يريدان بلاد المغرب [2].

كانت وجهة عبيد الله المهدي سجلماسة أين سجنه صاحبها اليسع بن مدرار ، فجهز أبو عبد الله جيشا جله من الكتاميين لتحرير الإمام ، وكان ذلك في سنة 296هـ/908م ، و في طريقه حل بتيهرت و دخلها بالأمان و قتل بها آخر الأئمة الرستمية اليقضان بن أبي اليقضان ، ثم واصل السير إلى سجلماسة وراسل صاحبها على أن لا يقتل الإمام و لا يؤذيه فرد عليه اليسع ردا عنيفا ، فقاتله أبو عبد الله الشيعي و تمكن من إخراج المهدي و ابنه من سجنهما ، و لما وقع بصره عليه خضع بين يديه و بكى من شدة إفراط سروره و سارا معا و سلم إليه الأمر ، و قال لمن كان معه " هذا هو مولاكم ، قد أنجز الله له وعده و أعطاه حقه و أظهر أمره "[3].

ثم رجعا إلى رقادة و التي دخلاها في 297هـ/909م و لقيه الناس و الفقهاء ، فدعوا له وجددوا له البيعة ، بأمر بذكر اسمه في خطب الجمعة و ضرب السكة ، وولى الولاة ، ودون

---

[1] المقريزي : المصدر السابق ، ص384 .

[2] نفسه ، ص 385 .

[3] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص154 .

الدواوين وجبى الأموال ، و لقب نفسه بالمهدي أمير المؤمنين و بذلك قامت الخلافة الفاطمية في بلاد المغرب [1] .

بعد قيام الدولة و تثبت دعائم الدولة أقدم المهدي على بعض التصرفات شككت الكتاميين في أصله و مستوى تفكير ، فقد كان عمد إلى الأموال التي جموعها في إيكجان و أخذها دون استشارتهم ، فبدأت نفوس كبار الكتاميين تتغير و يساورها الشك خاصة و أن أب عبد الله الشيعي شاركهم استيائهم و لم يخف ذلك [2] .

و كان من كبار الكتامين هارون بن يونس المعروف بشيخ المشايخ ، و يبدوا أن هذا الرجل كان يتصور أن عبيد الله المهدي لا بد أن يأتي بالمعجزات ليكون المهدي الحق [3] ، فلما رأى تصرفه و جشعه إلى المال خاب ظنه ، فصارحه بذلك فهال ذلك على عبيد الله المهدي فأمر بقتله ، و كان ذلك خطأ جسيما منه لأن هذا الرجل كان من دعائم الدولة وكان بالإمكان استرضاؤه [4] .

و أقدم عبيد الله المهدي على تهميش صاحب دعوته و هو ما حز في نفسه ، و لذا عمل أبوعبد الله الشيعي على تدبير مؤامرة بعد أن تشاور مع مشايخ كتامة للإطاحة بعبيد الله المهدي ، و أبدى شكوكا حول إمامته و كان يقول " إن الدعاة لأهل البيت واجب و أن الإمام المهدي حق ، و أن الزمن مجهول عندي ، و كنت ارتبت في والد عبيد الله فكيف لا

---

[1] عماد الدين القرشي : عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح مصطفى غالب ، السبع الخامس ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، ص26 .

[2] حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2004 ، ص145 .

[3] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص310 .

[4] علي حسن الخربوطلي : أبـو عبد الله الشـيعي مؤسـس الدولة الفاطمية ، المطبعة الفنية الحديثة ، الزيتونة ، ص65 .

يرتاب فيه " ، و قد استغل نفور الكتامين من تصرفاته فقال لهم " إن أفعاله قبيحة ، و إنه قد يكون أخطأ فيه ، و ليس هو المهدي الحقيقي الذي جاءت به البشائر بسبب ما أظهر من أعمال تبعده أن يكون إمام الزمان ومهدي العهد "[1] .

و قد اجتمع الساخطون على سياسة الخليفة بالقرب من مدينة تنس و من الحاضرين عروبة بن يوسف و الذي نقل للخليفة عبيد الله المهدي فحوى الاجتماع ، وهو ما دفعه إلى اتخاذ الإجراءات اللازمة لإحباط المؤامرة و التخلص من مدبري الفتنة [2] ، فأمر كل من عروبة بن يوسف و جبر بن نماسب بقتل أبو عبد الله الشيعي و أخوه أبو العباس [3] ، فوقفا لهما عند القصر فلما مر الشيعي و أخوه خرج عليهما فصاح أبو عبد الله بعروبة : لا تفعل يا ولدي ، فقال له عروبة أمرني بقتلك من أمرت الناس بطاعته ، ثم أمر عبيد الله المهدي بدفنهما و قال " رحمك الله أبا عبد الله و أجازك في الآخرة بقديم سعيك ، و لا رحمك الله أبا العباس فقد صددته عن السبيل و أوردته مورد الهلاك "[4].

ورغم ما حدث من بين الدولة الفاطمية و قبيلة كتامة إلا أن الفاطميين حاولوا إعادة بناء الثقة المنهارة بينهم و بين الكتاميين ولذلك عملت الخلافة الفاطمية منح زعمائها إمتيازات خاصة،حيث قلدت بعض قادتها مناصب عسكرية وإدارية في الدولة وأقطعتهم أراضي واسعة "...وخرجوا من الحلية التي كانوا عليها، واتسعت موالهم ، وكثرت نعمهم لما أصابوا

---

[1] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص161 .

[2] سعد زغلول عبد الحميد : المرجع السابق ،ص66 .

[3] ابن الأثير : المصدر السابق ، ج6 ، ص462 .

[4] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص164 .

من الأعمال وملكوا من البلدان ، وأجرى عليهم المهدي . مع ذلك الصلات وأصبغ عليهم العطاء "[1].

وحتى بعد إنتقال الفاطميين إلى مصر فقد حرصوا على إبقاء هيبة قوية لكتامة بأن ولوها على ورفعوا عنها الضرائب لاسترضائها من جهة ،وكي تكون لهم عينا على الصنهاجيين من جهة طرابلس أخرى [2]

والأسلوب عينه إستخدمته الخلافة الفاطمية لاستمالة قبيلة صنهاجة، لاسيما أنها كانت في أمس الحاجة لخدماتها في ظل الظروف العصيبة التي مرت بها في أثناء ثورة " صاحب الحمار"، والهيبة الكبيرة التي صارت تتمتع بها هذه القبيلة ،فوجد فيها الفاطميون بديلا عن كتامة التي استترفت الحروب كثيرا من أفرادها زيادة على كونها غير مأمونة الجانب . فحاولوا إستثمار قوتها لبسط نفوذهم على الجهة الغربية لبلاد المغرب .

و ربما اختلفت عصبية صنهاجة عن عصبية كتامة في علاقتها مع الدولة الفاطمية إذ لم تقم ولو بحركة تمرد واحدة ضدهم وبدت كتلة منسجمة محكمة البنيان، على عكس كتامة التي كثرت قلاقلها مما عزز مكانة صنهاجة على حسابها [3].

وقد عرفت قبيلة صنهاجة طرق التقرب من الدولة الفاطمية فأصبح التقاطع واضحا بين الشيعة و العصبية الصنهاجية ، حيث استعمل الفاطميون الصنهاجيين للقضاء أو الحد من الخطر الزناتي الذي كان يهدد الدولة الفاطمية و من ثم تقويض الخطر الأموي [4]

---

[1] القاضي النعمان : المصدر السابق ، ص305 .

[2] المقريزي : المصدر السابق ،ج1 ص354 .

[3] ابن الأثير : المصدر السابق ،ج8 ، ص164 .

[4] نفسه ، ج7 ، ص47.

وزادت مكانة قبيلة زناتة نفوذا داخل الدولة الفاطمية بعد أن شارك الصنهاجيون إلى جانب الفاطميون أثناء ثورة صاحب الحمار و الذي كاد أن يقضي على الدولة الفاطمية ، حيث أبلى الصنهاجيون البلاء الحسن في هذه الثورة وكان لهم الفضل في فك الحصار عن المهدية، إذ أرسل زيري بن مناد ألف حمل من الحنطة مصحوبة بمائتي فارس وخمسمائة من عبيده [1] ، كما شارك زيري بن مناد على رأس خمسمائة من جنده في مطاردة فلول أبي يزيد النكاري حتى تمكنوا من القبض عليه قرب قلعة كيانة سنة336هـ /947م، فنقل إلى القيروان ونكل به وحشي جسده قشا ثم صلب [2].

و كرد فعل عن ما قام به الصنهاجيون عمد الخليفة الفاطمي إلى تكريمهم وتبجيلهم ونزل إسماعيل في طرف صنهاجة ...ثم توجه إلى حائط حمزة، فترل هناك وفرق الأرزاق وأجزل العطايا، ووصل إليه زيري بن مناد في عساكر صنهاجة فوصله وفضله وخلع عليه ثيابا كثيرة من لباس وأعطاه من الطيب والطرائف الملوكية ما لا يحيط به الوصف ولا يحيطه الحصر..."[3]

ومن خلال ما عرضنا يمكن لنا أن نلحظ أن الشيعة الإسماعيلية ارتكزت في قيامها على العصبية الكتامية و التي لعبت دورا رئيسا في مرحلة الدعوة ، غير أن مكانة هذه القبيلة بدئها صيتها يأفل بسبب التهميش الفاطمي و بسبب الفتن التي قام بها الكتاميون ، و من ثم بحث الفاطميون عن عصبية جديدة يمكنها أن تحل محل الكتاميين ليتمكنوا من خلالها المحافظة على تواجدهم في بلاد المغرب فلجأوا إلى الصنهاجين و الذين قدموا للدولة

[1] الصنهاجي : المصدر السابق ، ص27 .

[2] عماد الدين القرشي : المصدر السابق ، ص 468 .

[3] ابن حماد : المصدر السابق ، ص27-29 .

خدمات جليلة منها القضاء على أكبر تمرد عرفته الدولة و الذي كاد أن يقوض أركان الدولة .

المذهب المالكي في بلاد المغرب :

ينسب هذا المذهب . كما هو معروف . إلى الإمام مالك بن أنس، الذي تنحدر أصوله من اليمن ، ولد المدينة المنورة سنة 93هـ/711م ، أخذ الإمام مالك العلم بالمدينة المنورة التي لم يغادرها[1].

و قد أخذ العلم عن مجموعة من علماء المدينة ،يبدو أن هذه المجموعة من الفقهاء كان لهم الفضل في تكوين البيئة الثقافية التي تبلور من خلالها منهج الفقه المالكي، فمالك يعد وريث علم الصحابة والتابعين، وتابعي التابعين، فهو وريث حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم [2]والمستودع المخزن فيه علم الصحابة والتابعين، لذلك تمسك مالك بفتوى الأثر وعمل أهل المدينة، لأنهم هم الذين أخذوا الفقه عن النبي صلى الله عليه وسلم، ونقلوه إلى أبنائهم ، من هذا المنطلق يعتبر مالك وأنصاره المدينة من أفضل بقاع الأرض علما و فقها[3].

عرف عن الإمام مالك عنايته الشديدة في تلقي العلم وتدوينه إذ حرص على أن يحفظ كل ما يسمعه من شيوخه رغم هذا كله فإنه لم يجلس للتدريس والفتيا حتى شهد له أهل العلم بذلك [4]، فقد أصبح ينافس في ذلك الذين أخذ عنهم العلم، فقد ورد عند ابن خلكان أن مالك ذكر بهذا الصدد قوله: "قل رجل كنت أتعلم منه ما مات حتى يجيئني و يستفتيني

---

[1] القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعالم مذهب مالك، تح محمد الطنجي ط2، ج1، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1983 ، ص108-109

[2] الزرقاني : شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك، ج1، ، دار الفكر، بيروت 2004، ص.5

[3] القاضي عياض : المصدر السابق ، ص40 .

[4] نفسه ، ص142.

" [1]، لذلك عرف عند المترجمين له بإمام الأئمة ، وهو من أوائل أعلام ذلك الزمان، من أجل ذلك كثر الإقبال عليه من طلبة العلم ينهلون من علمه حتى اجتمع له من طلاب العلم ما مل يجتمع لغريه[2].

أصول المذهب المالكي :

يقوم مذهب الإمام مالك على مجموعة من الأصول وهي تأتي مرتبة على الشكل التالي :

- القرآن الكريم
- السنة النبوية الشريفة مع صحة السند
- الإجماع و هو إجماع فقهاء الأمة
- عمل أهل المدينة و فتاوى الصحابة
- القياس
- الرأي و يدخل تحته المصالح المرسلة ، الاستحسان ، العرف ، سد الذرائع .

[1] ابن خلكان : ج4 ، ص135 .

[2] عمر الجيدي : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 1987 ، ص16 .

انتقال المذهب المالكي إلى بلاد المغرب :

انتشر المذهب المالكي في بلاد المغرب نتيجة لأسباب منها :

شخصية صاحب المذهب نفسه. لما عرف عنه من تمسكه بالسنة ومحاربة البدعة. وتشبثه التام بآثار الصحابة و التابعين و استجماعه ادوات الامامة... وهذا ما دفع الناس الى ان يقدروا علمه. وينقادوا لفكره. ويقتنعوا بان مذهبه اولى بالاقتداء و الاتباع . لأنه اقرب الى روح الشريعة من سائر فقهاء الشام و العراق وغيرهما من الامصار الاخرى. اضافة الى ثناء الناس عليه واعجابهم بحسن سيرته، و موطن نشأته و استقامة سلوكه وجديته و اخلاصه في بذل العلم . والتزامه الصارم باتباع نصوص الكتاب و السنة و القياس الواضح فما من مسالة عرضت عليه الا والتمس لها حلا في الكتاب و السنة فان لم يجد ذهب الى القياس الصحيح فاذا لم يجذ اعتذر عن الافتاء و الحكم واكتفى بجملته المحببة " لديه لا ادري "

وللأثر الوارد في شأن عالم المدينة الذي حمله بعض العلماء عليه وهو قوله صلى الله عليه وسلم : " يوشك ان يضرب الناس اكباد الابل في طلب العلم ، فلا يجدون عالما اعلم من عالم المدينة"[1].

ومن أسباب الانتشار طلبة الإمام مالك حيث انطلق المذهب المالكي من الحجاز في الآفاق يحمله تلامذة الإمام مالك، إلى أطراف العامل الإسلامي، ومنها إفريقية من أرض المغرب، التي تكونت فيها أقوى وأكبر المدارس المالكية في الغرب الإسلامي، والتي سيكون لها الدور الريادي فيما بعد في التصدي للمد الشيعي الفاطمي منطقة إفريقية وسائر بلاد

[1] القاضي عياض : المصدر السابق ، ج1 ، ص65 .

المغرب، وتحقيق الانتصار النهائي عن طريق الطلبة المغاربة الذين كان مالك شديد الميل إليهم، لما لمسه فيهم من استعداد جاد، وحرص على الإتباع وحسن الاقتداء، فأقبل عليهم بكليته، واهتم بتلقينهم فقهه [1].

و قد عاد طلبة بلاد المغرب من رحلتهم العلمية، فأخذوا ينشرون مذهب مالك وفي مقدمتهم على بن زياد التونسي، الذي كان أسبقهم، وأكثر تأثيرا من غيره في نشر هذا المذهب، حتى ليقال: إن الفضل في نشر المذهب المالكي في تونس يعود إليه بالدرجة الأولى، وفي هذا يقول الشيخ محمد النيفر "وهذه المدرسة التي وضع لبنتها على بن زياد وهي مدرسة مالك بن أنس، فهو الذي أدخل مذهبه هذه الديار المغربية وعرف به وشرحه للناس، وبين قواعده حتى اقتنعت به الأفكار، ولم يجتذبها إليه بسلطان ولا نفوذ، ورأي النيفر هذا يؤيد ما ذهب إليه عياض في المدارك، فقد قال في حق على بن زياد هذا إنه "أول من فسر لأهل المغرب قول مالك ولم يكونوا يعرفونه، وقد كان دخل الحجاز والعراق في طلب العلم، وهو معلم سحنون الفقه" غير أن زيادا هذا لم يكن له من الطلاب من يحمل علمه، كما كان الشأن بالنسبة لغيره، لذلك ضاع علمه وانقطع أثره مباشرة بعد موته، فلم يهتم به الباحثون وينشروا خبره ويشيعوا سيرته بين الناس، رغم ما كان له من سبق في نشر المذهب المالكي، والدفاع عنه، وتبيين مزاياه لهم، يدل لذلك ما ذكره تلميذه سحنون عندما قال: "لو كان لعلي بن زياد من الطلبة ما للمصريين ما فاقه منهم أحد، وما عاشره منهم أحد"[2].

---

[1] عمر الجيدي : محاربة المذهب المالكي في المغرب ، مجلة دعوة الحق ، العدد225 ،منشورات وزارة الأوقاف ، المملكة المغربية ،1982 ، ص70 .

[2] عمر الجيدي : الجذور الأولى للمذهب المالكي في المغرب ، مجلة دعوة الحق ، العدد237 ،منشورات وزارة الأوقاف ، المملكة المغربية ،1989 ، ص122 .

ومن عوامل الإنتشار أيضًا الأخلاق الطيبة التي يتمتع بها الفقهاء والأعلام الذين نشروا المذهب المالكي فكانوا يمثلون أسوة حسنة للمغاربة؛ بالإضافة إلى أن اقتصار بعض الوظائف الدينية عليهم، جعلتهم يجتهدون في تأليف المصنفات حول هذا المذهب. وقد ساعد أيضًا على انتشار المذهب المالكي تأييد أمراء الأغالبة ورجال الحكم له وذلك عن طريق تعيين أبرز فقهائه في المناصب الدينية والإدارية المختلفة[1].

و هناك من يعتبر ملاءمة مذهبه لطبيعة المغاربة سببا من أسباب الانتشار وذلك ان المذهب المالكي- كما هو معروف عنه- مذهب عملي يعتد بالواقع ويأخذ بأعراف الناس وعاداتهم ففقهه عملي اكثر منه نظري يتمشى مع طبيعة الفطرة في بساطتها ووضوحها دون تكلف او تعقيد واهل المغرب بطبعهم يميلون إلى البساطة و الوضوح و يفرون من النظريات المتطرفة والتأويلات البعيدة المتكلفة فمذهبه خلا من تداخل الآراء وظل بعيدا عن الشوائب التي تسربت الى الدين في الامصار الاخرى نتيجة اختلاف الناس، باختلاف مذهبهم و انظمتهم السياسية و الفكرية والعقيدية فبقي مذهبه سليما نقيا من كل ذلك... فتربى في نفوسهم نفور من كل تخريج او تأويل ناظرين الى كل انحراف نحو التأويل و التخريج. و التفسير البعيد كانه خروج عن الاسلام الحق ومن ثم ابتعدوا عن اصحاب الرأي و لم يقبلوا على مذهب ابي حنيفة وغيره، ولأن بلادهم لقيت من المتاعب و الاهوال بسبب اصحاب الآراء و التأويلات من دعاة الآراء المتطرفة والافكار الشاذة ما جعلهم يوقنون ان الدين انما هو القرآن و السنة ولا شيء بعد ذلك ، زيادة منهم في الحرص على

---

[1] القاضي عياض : المصدر السابق ، ص89.

دينهم ، و التمسك بأصوله خوفا من الانزلاق في مهاوي الضلالات ومن ثم وضعوا المعتزلة و الخوارج في كفة الزنادقة وانتقدوا الأحناف وجاهروهم بالعداء الصريح [1] .

ومن أسباب الانتشار أيضا تشابه البيئة في كل من الحجاز و المغرب وهذا الراي ذهب اليه العلامة ابن خلدون الذي يرى ان البداوة كانت غالبة على اهل المغرب و الاندلس. ولم يكونوا يعانون الحضارة التي لأهل العراق، فكانوا الى اهل الحجاز أميل لمناسبة البداوة ولهذا لم يزل المذهب الملكي غضا عندهم ولم يأخذه تنقيح الحضارة و تهذيبها كما وقع في غيره من المذاهب[2] .

ومن أسباب الانتشار رحلة المغاربة الى الحجاز غالبا وفي هذا يقول ابن خلدون واما مذهب مالك رحمه الله تعالى فاختص بمذهبه اهل المغرب و الاندلس وان كان يوجد في غيرهم الا انهم لم يقلدوا غيره الا في القليل لما ان رحلتهم كانت غالبا في الحجاز وهو منتهى سفرهم والمدينة يومئذ دار العلم ومنها خرج الى العراق وشيخهم يومئذ و امامهم مالك بن انس وشيوخه من قبله وتلاميذه من بعده فرجع اليه اهل المغرب و الاندلس وقلدوه دون غيره ممن لم تصل اليهم طريقته "[3].

وهناك راي للعلامة ابن حزم يذهب فيه الى ان سبب انتشار مذهب مالك يرجع الى نفوذ الحكام وسلطانهم فيقول " مذهبان انتشرا بالرياسة و السلطان مذهب ابي حنيفة فانه لما ولي القضاء ابو يوسف كانت القضاة من قبله في اقصى المشرق الى اقصى عمل افريقية

[1] المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم وأوصافهم ، تح البشير بكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1994 ،ص 10

[2] ابن خلدون : المقدمة ،ص245 .

[3] نفسه ، ص 245 .

فكان لا يولي الا اصحابه و المنتسبين لمذهبه ومذهب مالك عندنا بالأندلس فان يحيى بن يحيى كان مكينا عند السلطان مقبولا في القضاء، وكان لا يولي قاض من أقطار الاندلس الا بمشورته و اختياره ولا يشير الا بأصحابه، ومن كان على مذهبه و الناس سراع الى الدنيا فاقبلوا على ما يرجون بلوغ اغراضهم به، على ان يحي لم يل قضاء قط ولا اجاب اليه وكان ذلك زائدا في جلالته عندهم و داعيا الى قبول رايه لديهم"[1] .

---

[1] الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ،تح بشار عواد معروف ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2008 ص383.

صراع المالكية مع الشيعة و الموحدين :

حاض المالكية الكثير من الصرعات ضد مناوئيهم في المذهب و خاصة الذين كانوا يرون أنهم خارجين عن الدين كالشيعة .

تفنن الشيعة في اقتباس اساليب نشر مذهبهم في بلاد المغرب ومن ذلك أنهم اعتمدوا في بداياتهم على نشر مذهبهم بالدعوة أو ما يمكن أن نصطلح عليه بالطريقة السلمية ، و استغلوا في ذلك حب المغاربة لآل البيت من جهة ، و طيبتهم و سذاجة وقلة علمهم من جهة أخرى ، غير أنه وبمجرد اكتساب الشيعة للقوة و الأتباع تحولوا إلى استعمال طرق جديدة في نشر مذهبهم منها :

استعمال القوة: و بدأ تطبيق هذا الأسلوب مباشرة بعد سيطرتهم على القيروان ، وما إن توجه أبو عبد الله الشيعي إلى سجلماسة لتخليص عبيد الله المهدي من الأسر قام أخوه أبو العباس باضطهاد فقهاء القيروان و تعذيب بعضهم و قتل البعض الآخر منهم ، و قد أثار هذا العمل حفيظة أهل القيروان و دفع أبا عبد الله الشيعي إلى التدخل معيبا على أخيه هذا التصرف قائلا " لقد أفسدت علينا أمر البلد و أهله ما كانت بنا حاجة إلى إصلاحه " [1].

ثم تطور الأمر إلى محاولة ضرب أصول الدين و زعزعة عقيدة أهل بلاد المغرب ، ومن ذلك ادّعاء الخليفة الفاطمي عبيد الله المهدي للنبوة ، وهذا ما نقلته لنا كتب التراجم المالكية حيث تحدث عن محنة العلماء المالكية جراء رفضهم لهذا ، ومن ذلك أنّ عبيد الله المهدي أمر من يحضر له الفقيهان؛ ابن البرذون و ابن هذيل، وحينما وصلا وجداه مستلقيا على سرير وعن يمينه صاحب دعوته أبو عبد الله الشيعي و عن يساره أخوه أبو

---

[1] ابن عذارى المراكشي : المصدر السابق ، ص 155 .

العباس فقال لهما أبو عبد الله و أبو العباس أتشهدان أن هذا رسول الله و أشارا إلى عبيد الله ، فأجابا بلفظ واحد: و الله الذي لا إله إلا هو لو جاء هذا و الشمس عن يمينه و القمر عن يساره يقولان أنه رسول الله ما قلنا إنه رسول الله ، فأمر عبيد الله بذبحهما و ربطهما إلى أذناب الخيل [1] .

و لم تكن هذه الحادثة الوحيدة التي ادّعى فيها عبيد الله المهدي النبوة ، بل حاول أن يثبت ذلك من خلال مناظرته للفقيه سعيد بن الحداد وفيها نفى أن يكون محمد صلى الله عليه و سلم خاتما للنبيين مستدلا في ذلك بقوله تعالى " و لَكِنْ رَسُولَ اللهِ و خَاتَمَ النَبِيّينَ " [2] و قال خاتم النبيّين غير رسول الله ، فرد عليه الفقيه سعيد بن الحداد بقوله هذه الواو ليست من واوات الابتداء و إنما هي من واوات العطف كقوله عزّ وجل " هُوَ الأَوَلُ و الآخَرُ و الظّاهِرُ و البَاطِنُ و هُوَ بِكُلِ شَيءٍ عَلِيم " [3] فهل من أحد يوصف بهذه الصفات غير الله عزّ و جلّ [4] .

و بعد ادّعاء الخلفاء الفاطميون للنبوة سكت خليفتهم الرابع المعز لدين الله الفاطمي على إقدام الشاعر ابن هانئ الأندلسي على تأليهه في قصيدة مطلعها :

ما شئت لا ما شاءت الأقدار   فاحكم فأنت الواحد القهّار .

و يكون سبب عرضنا لهذه الشواهد التاريخية، التي سعى من خلالها الفاطميون ضرب عقيدة أهل بلاد المغرب و توطيد مذهبهم ، هو أنّه من تعدّى على الحرمات و

---

[1] المالكي :رياض المصدر السابق ، ج2 ص49 ، الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،محمد الأحمدي أبو النور ،محمد ماضور ، ج2 ،مكتبة الخانجي مصر ، المكتبة العتيقة تونس ، ص263

[2] الأحزاب الآية 40

[3] الحديد الاية 3 .

[4] المالكي :المصدر السابق ، ج2 ، ص 62 ، الدباغ :المصدر السابق ، ج2 ، ص 300

ادّعى النبوة و من قبل أن يوصف بصفات الربوبية من دون حرج، فإنه سيقدم على السب و القدح و اللعن في أصحاب و زوجات النبي صلى الله عليه وسلم .

وقد اعتبر السب و اللعن من الوسائل التي استعملها الفاطميون ، و قد شمل السب و اللعن الرسول صلى الله عليه وسلم و زوجاته و كل الصحابة رضوان الله عليهم باستثناء علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، و قد كان السب في بدايته مخصوصا ببعض أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومن الذين شملهم ذلك الخليفة الأول أبو بكر الصديق حيث أنهم كانوا يعتقدون بأنّ عليا بن أبي طالب رضي الله عنه أفضل منه حيث أقدم بعض علماء الشيعة على مناظرة الفقهاء المالكية لإثبات ذلك، و كانوا من خلال ذلك يسعون إلى إثبات أن الخمسة أصحاب الكساء أفضل من غيرهم ، و المقصود بالخمسة أصحاب الكساء ، النبي صلى الله عليه و سلم و علي بن أبي طالب و الحسن و الحسين وفاطمة و يعني غيرهم هو أبو بكر[1] ، و كان الشيعة يطعنون على أبي بكر في سؤاله لعلي عن فرض الجدة في الميراث [2] ، وقد حاولنا أن نبحث هل كلام الشيعة صحيح حول هذه القضية فوجدنا أن من أشار على أبي بكر في فرض الجدة هو المغيرة بن شعبة وأيده محمد بن مسلمة الأنصاري [3] ، ومن الصور التي تحامل فيها علماء الشيعة على أبي بكر الصديق في تفسير قوله تعالى " لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا" [4] دلالة على أن حزنه كان مسخوطا لأن النبي صلى الله عليه و سلم قد نهاه عنه [5] .

---

[1] الدباغ : المصدر نفسه ، ج2 ، ص 298 .

[2] المالكي : المصدر السابق ، ج2 ، ص87 .

[3] مالك بن أنس : المصدر السابق ، ص 292 .

[4] التوبة الآية 40

[5] المالكي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 79 .

أما طعنهم على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقد اتهموه بأنه تولى يوم الزحف في معركة حنين ، و سبب ذلك أن أحد علماء الشيعة ذكر جزءا من الحديث النبي صلى الله عليه وسلم " أقضاكم علي " فذكر الفقيه المالكي سعيد بن الحداد الحديث كاملا " أقضاكم علي و أعلمكم بحلال الله و حرامه معاذ و أرأفكم أبو بكر ، و أشدكم في دين الله عمر " فقال الشيعي كيف يكون أشدهم في دين الله و قد فرّ بالراية يوم حنين [1] ، كما يعتقدون أن عمر بن الخطاب قد ابتدع في الدين لما سنّ صلاة التراويح [2].

و أما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها فقد تحدثت الشيعة بالإفك رغم أن الله سبحانه و تعالى برّأها منه من فوق سبع سماوات ، كما أنهم حاولوا أن يثبتوا أن فاطمة بنت النبي صلى الله عليه و سلم أفضل من عائشة رضي الله عنها [3] ، كما أنهم جهروا بلعنها ومن ذلك أن الشيعة نصبوا حسن الأعمى السباب في الأسواق يقول " العنوا عائشة و بعلها ، و العنوا الغار و ما حوى "[4].

[1] ، المالكي :المصدر نفسه ج2 ، ص 79 ، الدباغ :المصدر السابق ، ج2 ، ص 305

[2] الدباغ : المصدر نفسه ج2 ، ص 301.

[3] القاضي عياض : المصدر السابق ،ج2 ، ص 160

[4] شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، تح عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، ج 25 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1987 ، ص 31 .

3–موقف الفقهاء المالكية من سياسة الشيعة :

لم يقف الفقهاء المالكية مكتوفي الأيدي أمام هذا المنكر الشنيع الذي أحدثه الشيعة في بلاد المغرب، بل تصدوا له و بطرق مختلفة منها :

1–المقاومة السلبية :

و تمثلت هذه المقاومة في مقاطعة كل ما له علاقة بالتشيع ، ووصل الحد بهم إلى مقاطعة صلاة الجمعة ، لما كان يحدث فيها من لعن للصحابة على المنابر، ومن ذلك أن الفقيه جبلة بن محمود لما حضر أول جمعة للفاطميين في جامع القيروان و سمع فيها ما لا يجوز سماعه قام قائما و كشف عن رأسه حتى رآه الناس و مشى من المنبر إلى آخر الباب ، و الناس ينظرون إليه وهو يقول قطعوها قطعهم الله ، ومنذ ذلك اليوم قطع العلماء حضور جمعهم وهو أول من نبه إلى ذلك [1] ، وهذا الموقف من الفقيه جبلة بن محمود من الأعمال الجليلة فهو أراد أن ينبه العامة إلى المنكر الذي أحدثه الفاطميون، فكشف عن رأسه كي تعرفه العامة ومن ثم تقتدي به في ما قام به من مقاطعة صلاة الجمعة التي يلعن و يسب فيها أصحاب رسول الله .

و قد كان من نتائج هذا العمل أن قاطعت العامة حضور الجمع التي كانت مناسبة لسب و لعن الصحابة رضوان الله عليهم [2].

وهناك من العلماء من اكتفى بالدعاء على الفاطميين ومن ذلك ما كان يقوم به أبو إسحاق السبائي الزاهد؛ الذي كان إذا رقى رقية يقول بعد قراءة الفاتحة وسورة الإخلاص

---

[1] ، المالكي : المصدر السابق ج2 ، ص 43 ، القاضي عياض :المصدر السابق ج1 ، ص 516 ، الدباغ :المصدر السابق ج2 ، ص 273

[2] ابن عذارى المراكشي :المصدر السابق ، ج1 ، ص277

والمعوذتين : وببغضي في عبيد الله وذريته، وحبي في نبيك وأصحابه وأهل بيته أشف كل من رقيته [1] ، وكذلك ما كان يقوم به الفقيه أبو عبد الله بن اسحاق المعروف بابن التبان من كثير الدعاء عليهم بقوله اللهم العنهم ما أقام أمرهم وما صرفه ، علق اللعنة عليهم كتعليق القلائد في أعناق الولائد [2]

ومن مظاهر المقاومة السلبية مقاطعة كل من يسير في ركب السلطان واعتزاله ، وكل من كانت له صلة بهذا السلطان ، أو سعى إلى تبرير وجوده ، عملاً بقوله تعالى : " لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤمِنُونُ بِاللهِ وَاليَوْمِ الآخِرِ يُوَادُونَ مَنْ حَادَّ اللهَ ورَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا ءَابَاءَهُم أَوْ أَبْنَاءَهُم أَوْ إِخْوَانَهُم أَوْ عَشِيرَتَهُم "[3]. حيث قام فقهاء القيروان على خلف بن أبي القاسم البراذعي لصلته بملوك بني عبيد وقبوله هداياهم ، وتأليفه كتابا في تصحيح نسبهم، وزادت النقمة عليه عندما وجدوا بخطه الثناء على بني عبيد متمثلاً ببيت الحطيئة :

أولئك قوم إن بنوا أحسنوا البنا ★ وإن عاهدوا أوفوا وإن عقدوا شدوا

لذلك كلّه أفتى فقهاء القيروان بطرح كتبه ، وعدم قراءتها ، وإزاء ذلك اضطر هو إلى الهجرة إلى صقلية ، حيث حصلت له حظوة كبيرة عند أميرها [4] .

2-المقاومة العسكرية :

تعد المقاومة العسكرية من بين السبل التي واجه بها المغاربة الغطرسة السياسية و التجرؤ الفاطمي على الصحابة و أمهات المسلمين بالسب و اللعن ، و نستدل على ذلك

---

[1] إبراهيم التهامي : جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة السنة ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1426هـ 2005 ، ص 324

[2] القاضي عياض : المصدر السابق ، ج2 ، ص 162

[3] المجادلة الآية 21

[4] ابراهيم التهامي : المرجع السابق ، ص 324

بما قام به الفقيه المالكي جبلة بن محمود بعد دخول الفاطميين إلى رقادة حيث " ترك سكنى الرباط و نزل القيروان فكُلم في ذلك فقال كنّا نحرس عدوا بينا و بينه البحر و الآن حل بساحتنا هذا العدو ،و هو أشد علينا من ذلك ، فكان إذا صلى الصبح خرج إلى القيروان من ناحية رقادة ومعه سيفه و رمحه و ترسه و سهامه و يقول أحرس عورات المسلمين منهم فإذا رأيت منهم شيئا حركت المسلمين عليهم، و كان ينكر على من خرج من القيروان إلى سوسة أو نحوها من الثغور و يقول جهاد هؤلاء أفضل من جهاد أهل الشرك " [1].

ومن مظاهر المقاومة العسكرية للفاطميين أن كثيرا من فقهاء المالكية أصدروا فتاوى تجيز الخروج مع مخلد بن كداد لقتال الفاطميين ، ومن ذلك ما أصدره الفقيه أبو الفضل عباس بن عيسى من أن الخروج مع أبي يزيد الخارجي و قطع دولة الفاطميين يعد فرضا لأن الخوارج من أهل القبلة لا يزول عنه الإسلام و يرثون و يورثون ، أما الفاطميون فليسوا كذلك فهم مجوس زال عنهم اسم المسلمين فلا يتوارثون معهم و لا ينتسبون إليهم [2] ، و قد مات شهيدا و هو يقاتل الفاطميين و استشهد معه خمسة و ثمانون رجلا من خيرة أهل المغرب سنة 333هـ [3] ، ومن الفقهاء الذين أصدروا فتاوى تفرض مقاتلة الفاطميين الفقيه أبو إسحاق إبراهيم بن أحمد السبائي ، وذلك أنه كان يوما مع الفقيهين الممسي و أبو العرب و التقوا بأبي يزيد فقال لهم بايعوني فإن النبي صلى الله عليه وسلم لم يخرج في غزوة و لا بعث حتى جدد البيعة في أعناق الصحابة ، فقال له أبو اسحاق نعم نبايعك على كتاب

---

[1] المالكي :المصدر السابق ، ج2 ، ص 37 القاضي عياض :المصدر السابق ، ج1 ، ص 516 ، الدباغ :المصدر السابق، ج2 ، ص 272.

[2] ، المالكي : المصدر نفسه ،ج2 ، ص 297 ، الدباغ : المصدر نفسه ، ج3 ، ص 29 .

[3] المالكي : المصدر نفسه ، ص 292

الله و سنة رسوله و مذهب مالك ، أنت رجل من أهل القبلة توحد الله خرجت لجاهد أعداء الله [1] ، ومن الفقهاء الذين أفتوا بضرورة الخروج على الفاطميين الفقيه أبو العرب بن تميم حيث تناظر مع بعض فقهاء المالكية حول مناصرة أبي يزيد و ختم كلامه بوجوب الخروج معه مستدلا في ذلك بحديث للرسول صلى الله عليه وسلم " يكون في آخر الزمان قوم يسمون الرافضة فإن أدركتموهم فاقتلوهم فإنهم كفار "[2]

و قد أقدم الكثير من فقهاء المالكية على المشاركة في جيش مخلد بن كداد بعد أن سمعوا صبيا من الفاطميين يقذف الصحابة و يسب النبي صلى الله عليه وسلم وعلقت عظام رؤوس أكباش و حمير و غيرها على أبواب الحوانيت و الدروب عليها قراطيس عليها أسماء يعنون بها رؤوس الصحابة رضوان الله عليهم ، فقام الفقيه ربيع القطان يحضّ الناس و يشرع لهم الخروج على الفاطميين و مساندة أبي يزيد ، واتفق الفقهاء على ذلك و أعدوا سبعة بنود كان الأول و الثاني للفقيه ربيع القطان كتب في الأول البسملة و معها لا إله إلا الله محمد رسول الله ، وكتب في الثاني نصر من الله و فتح قريب على يد أبي يزيد اللّهم انصره على من سب نبيك ، و كان البند الثالث لأبي الربيع كتب فيه بعد البسملة قوله تعالى :" فَقَاتِلُوا أَئِمَةَ الكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا إِيمَانَ لَهُمْ لَعَلَهُمْ يَنْتَهُون "[3] ، و البند الرابع للفقيه أبي الفضل عباس الممسي و كتب فيه لا إله محمد رسول الله ، و أما الخامس و هو للفقيه مروان العابد كتب فيه بعد البسملة قوله تعالى " قَاتِلُوهُم يُعَذِبُهُم اللهُ بِأَيْدِيكُمُ وَ يُخْزِهِم وَ يَنْصُرْكُم عَلَيْهِم وَ يَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ " [4] ، وفي السادس وهو أيضا لمروان العابد

---

[1] القاضي عياض :المصدر السابق ، ج2 ، ص 74 .

[2] المالكي :المصدر السابق ،ج2 ، ص 309.

[3] التوبة الآية 12

[4] التوبة الأية 14

كتب فيه بعد البسملة لا إله إلا الله محمد رسول الله أبو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، و في البند السابع وهو للفقيه إبراهيم بن الحبشا لا إله إلا الله محمد رسول الله " إِلاّ تَنْصُرُوه فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الذّينَ كَفَرُواْ ثَانِي اِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا " [1] وكان ذلك يوم الجمعة ، و قد صعد الفقيه أبو الفضل الممسي المنبر و " حرض الناس على الجهاد و أعلمهم بما فيه من ثواب ، و قال يا أيها الناس جاهدوا من كفر بالله و زعم أنه رب من دون الله و غيّر أحكام الله و سب نبيه و أصحاب نبيه و أزواجه "[2].

3- المناظرات الفقهية :

تعد المناظرات من الطرق التي اتّبعها فقهاء المالكية في الدفاع عن الصحابة رضوان الله عليهم أمام التطاول الفاطمي ، و قد أبان الفقهاء عن تحكم منقطع النظير في أسلوب الجدل و الدفاع مستندين في ذلك إلى الحجة والدليل المقتبس من القرآن الكريم و السنة النبوية الشريفة .

وسنحاول هنا عرض المناظرات الفقهية بين فقهاء المالكية ورؤوس الشيعة ، و التي كان محورها السب و اللعن و التحقير من جهة الشيعة ، و الدفاع والذب من جهة المالكية و سنركز على المناظرات التي كان محورها أبا بكر الصديق و عمر بن الخطاب و عائشة أم المؤمنين .

فقد حاول الشيعة التقزيم من شخص أبي بكر الصديق رضي الله عنه و جعله أقل درجة و مكانة من علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، حيث يدّعي الشيعة أنّ أبا بكر

---

[1] التوبة آية 40

[2] القاضي عياض : المصدر السابق ، ج2 ،ص 31 ، الدباغ : المصدر السابق ، ج3 ، ص 32 ، 33 .

سلب حق علي في خلافة رسول الله ، و قد غالطوا في ذلك بحديث غدير خم " من كنت مولاه فعلي مولاه " ، فالشيعة استدلوا بهذا الحديث في أحقية علي بالخلافة من أبي بكر ، كما أنهم أولوا الحديث على أن يكون الناس عبيدا للشيعة و قد ناظرهم الفقيه سعيد بن الحداد في ذلك و قال الحديث صحيح و لم يكن يراد به ولاية رق و إنما ولاية دين مستدلا في ذلك بقوله تعالى " مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُؤْتِيَهُ اللهُ الكِتَابَ والحُكْمَ و النُبوةَ ثُمَ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادا مِنْ دُونِ اللهِ و لَكِنْ كُونُوا ربَّانِينَ بِمَا كُنْتُم تَعْلَمُونَ الكِتَابَ و بِمَا كُنْتُم تَدْرُسُونَ وَلاَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَخِذُوا المِلَائِكَةَ النَبِيينَ أَرْبَابَا أَيَأْمُرُكُم بَعْد إِذْ أَنْتُم مُسْلِمُون "[1] فما لم يجعله الله لنبي لم يجعله لغير نبي و علي ليس بنبي [2].

ومن ذلك ما ناظر به الفقيه ابن التبان الداعيين الشيعيين أبا طالب و أبا عبد الله لما سألاه " يا أبا محمد من أفضل أبو بكر أو علي و قال أبو عبد الله أيكون أبو بكر أفضل من خمسة جبريل عليه السلام سادسهم ، فقال أبو محمد أيكون علي أفضل من اثنين الله ثالثهما " [3].

و لم يتوقف استهداف الشيعة لأبي بكر عند هذا الحد ، بل إنهم أوّلوا القرآن الكريم على حسب أهوائهم في قوله تعالى " إِلاّ تَنْصُرُوه فَقَدْ نَصَرَهُ الله إِذْ أَخْرَجَهُ الذّينَ كَفَرُواُ ثَانِي اِثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ الله مَعَنَا " [4] فقالوا أن الحزن المذكور في الآية مسخوطا لأن النبي صلى الله عليه و سلم نهاه عنه ، و ناظرهم في ذلك الفقيه سعيد بن الحداد بقوله " لم يكن قوله إلا تبشيرا بأنه آمن على رسول الله صلى الله عليه و سلم

---

[1] سورة آل عمران الآية 79-80

[2] المالكي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 60 ،الدباغ :المصدر السابق ، ج2 ، ص 299

[3] القاضي عياض : المصدر السابق ، ج2 ، ص161، الدباغ :المصدر نفسه ، ج3، ص 92

[4] التوبة الآية 40

وعلى نفسه معه مما كان يحذره من غلبة المشركين ، و كان خوفه لما خاف من ذلك من أجل أنه لا يظهر على غيب ما تجري به مقادير الله عز وجل ، ورسول الله ينزل عليه الوحي بغيب ما يكون قبل أن يكون فكان قوله " لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللهَ مَعَنَا " ما بين أن الله معهما بنصرته إياهما و ذلك لا يكون إلا بوحي من الله عز وجل ، و قد بين الله تعالى إطلاعه أنبياءه على غيبه بقوله " فَلاَ يُظْهِرُ عَلَى غَيْبِهِ أَحَدًا إِلّا مَنِ ارْتَضَى مَنْ رَسُولٍ " [1] فقيل له و هل تجد لهذا نظيرا من التنزيل "لا تفعل " يراد به التبشير و لا يراد به النهي عن أمر مسخوط ؟ فقال نعم قال الله لموسى و هارون " لاَ تَخَافَا إِنَنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَ أَرَى " ، لما خافا من فرعون أن يفرط عليهما أو أن يطغى و لم يكن خوفهما خوفا يسخط الله عز وجل عليهما من أجله ، لأنهما لو أديل لفرعون عليهما لكان في ذلك طغيانا لفرعون و تضعضعا للدين وهما رسولان يدخلان في " إِلّا مَنِ ارْتَضَى مَنْ رَسُولٍ"فأطلعهما الله عز وجل على غيب ما خافا ، كما أطلع محمدا صلة الله عليه و سلم على غيب ما يؤول إليه الأمر الذي خافه أبو بكر رضي الله عنه ، فصار قول الله عز وجل في أبي بكر شرفا لم يبلغه أحدا بعده ، فإن الله عز وجل أنزل فيه و في الأمر الذي خافه من التبشير بالأمن منه ما أنزل على موسى و هارون عليهما السلام [2].

كما حاول الشيعة الطعن على أبي بكر و طرحوا قضية أليس العالم بأعلم من المتعلم في حضرت سعيد بن الحداد ، و قد سأل أبو العباس الشيعي عن ذلك رجل عراقي فقال له نعم ، ثم تمادى أبو العباس أكثر و قال أو ليس المتعلم يحتاج إلى معلم أبدا فقال العراقي نعم ، ففهم سعيد بن الحداد أن مقصد أبي العباس كان الطعن على أبي بكر في سؤاله عليا رضي الله عنه في فرض الجدة ، فقال سعيد إني أسمع كلاما يوجب الله علي فيه ألّا أسكت

---

[1] الجن الآية 26-27

[2] المالكي :المصدر السابق ، ج2 ،ص82 .

قال و ما ذلك ، فقال له المتعلم يكون أعلم من المعلم و يكون أفضل منه و أفقه، فقال وما دليلك ؟ فقال يقول رسول الله صلى الله عليه و سلم "رب حامل فقه إلى من هو أفقه منه و رب حامل فقه غير فقيه " ، و هناك ما هو متعارف بين الخليقة أن المعلم يعلم الصبيان القرآن فلا يزال يعلمهم حتى يكبر الصبي ، فيعطي الله عز وجل للصبي من الفهم بعام القرآن و بخاصه و بظاهره و باطنه ما لا يقدر معلمه على علمه أبدا [1].

و من المستهدفين من الشيعة الخليفة الثاني عمر بن الخطاب ، و الذي لم يسلم منهم و سلقوه بألسنة حداد ، و قد تصدى علماء المالكية لاستهدافهم له فناظروا الشيعة دفاعا عنه ، ومن المدافعين عنه سعيد بن الحداد يوم ناظر أبا عبد الله الشيعي حيث قال الشيعي " ألم يقل النبي صلى الله عليه وسلم "أقضاكم علي " فقال سعيد بن الحداد تتمة الحديث " وأعلمكم بحلال الله و حرامه معاذ ، و أرأفكم أبو بكر ،وأشدكم في دين الله عمر ، رضي الله عنهم أجمعين ، فقال له الشيعي : و كيف يكون أشدهم في دين الله و قد هرب بالراية يوم حنين، فقال له سعيد تحيز إلى فئة كما أنزل الله في كتابه ، قال عز وجل " إِلاّ مُتَحَرِفاً لِقِتَالٍ أو مُتَحَيزاً إلى فِئَةٍ " [2]فمن تحيز إلى فئة كما أمر الله عز وجل فليس بفار ، فمال الشيعي بوجهه إلى بعض أصحابه و قال أتسمع ما قال الشيخ قال انحاز إلى فئة كما أمر الله سبحانه ، و أي فئة أكثر من رسول الله صلى الله عليه و سلم و قد كان حاضرا و لم يتحيز إليه ، فقال الشيخ جاء عن النبي صلى الله عليه و سلم " عمر فئة " فمن تحيز إلى عمر فقد تحيز إلى فئة ، فسكت الشيعي فحرّكه بعض أصحابه و قال ألا تسمع ما يقول الشيخ ؟ فقال له صدق [3].

---

[1] المالكي : المصدر نفسه ، ج2، ص 87 ، الدباغ : المصدر السابق ، ج2 ، ص 306

[2] الأنفال الآية 16

[3] المالكي : المصدر السابق ، ج2 ، ص 80 ، الدباغ : المصدر السابق ، ج2 ، ص 305

و لم ينته الشيعة إلى اتهام عمر بن الخطاب بالتولي يوم الزحف ، بل اتهموه بالابتداع في الدين لما سن صلاة التراويح ، وقد ناظرهم في ذلك سعيد بن الحداد ، حيث أن قاضي الشيعة محمد بن عمر المروذي قال : إني أمرت أن أناظركم في قيام رمضان ، فإن وجبت لكم الحجة رجعنا إليكم و إن وجبت لنا رجعتم إلينا، فقال سعيد بن الحداد ما تحتاج إلى مناظرة ، فقال له لا بد منها ، فقال له سعيد شأنك و ما تريد، فقال تعلمون وترون أن النبي صلى الله عليه و سلم لم يقم إلا ليلة ثم قطع ، و أن عمر بن الخطاب هو الذي استن القيام ، و قد جاء في الحديث " كل محدثة بدعة و كل بدعة ضلالة و أن كل ضلالة في النار " فقال سعيد هذه البدعة من البدع التي يرضاها الله عز وجل و يذم من تركها ، فقال له و أين تجد ذلك في كتاب الله عز وجل ؟ فقال له في كتابه الذي " لاَ يَأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ ولاَ مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مَنْ حَكِيمٍ حَمِيد "[1] قال : و أين ؟ قال له في قوله تعالى " وَ رَهْبَانِيةً اِبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهُمْ إِلّا اِبْتِغَاءَ رِضْوَانَ اللهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَ رِعَايَتَهَا "[2] فنحن نثابر على هذه البدعة التي هي رهبانية لئلّا يذمنا الله عز وجل كما ذمهم ، فقال من صلى القيام ضربت عنقه ، فقال له سعيد قد قلت لك هذا أولا ، ما تحتاج إلى مناظرة فلم تقبل [3].

و قد كان للشيعة حقد كبير على عائشة أم المؤمنين و يرجع سبب ذلك إلى أن عائشة خرجت على عليّ رضي الله عنه في موقعة الجمل ، و هو ما دفع بهم إلى محاولة الانتقاص من قيمتها و لعنها و حتى الحديث في شرفها ، و قد تصدّى فقهاء المالكية إلى ذلك ودافعوا عنها دفاعا كبيرا .

---

[1] فصلت الآية 42

[2] الحديد الآية 28

[3] المالكي :المصدر السابق ، ج2 ، ص ص 60 ،62 ، الدباغ :المصدر السابق ، ج2 ، ص 300 ، 302

ومن ذلك أنهم حاولوا أن يجعلوا فاطمة بنت النبي صلى الله عليه و سلم في مرتبة أعلى من مرتبة عائشة و كانت محور مناظرة بين الداعيين الشيعيين أبو عبد الله و أبو طالب مع الفقيه المالكي ابن التبان حيث قال أبو عبد الله يا أبا محمد أيهما أفضل عائشة أم فاطمة و هنا قام أحد الأدعياء و قال أيهما أفضل امرأة أبوها رسول الله ، و أمها خديجة الكبرى ، و زوجها علي بن أبي طالب ابن عم الرسول صلى الله عليه و سلم ، وولداهما الحسن و الحسين سيّدا شباب أهل الجنة ، و امرأة أمها أم رومان ، و أبوها عبد الله بن أبي قحافة ، فقال الفقيه ابن التبان عائشة وسائر أزواج النبي رضوان الله عنهم أفضل من فاطمة ، فقال له من أين ذلك ؟ فقال ابن التبان من قوله تعالى " يَا نِسَاءَ النَّبِي لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِنَ النِسَاءِ إِنْ اتَقَيْتُنَّ " [1]، ثم أردف قائلا أيهما أفضل عندك امرأة إن طلقها زوجها أو مات عنها تزوجها عشرون زوجا أو امرأة إن طلقها زوجها أو مات عنها لم تحل لأحد .[2]

و كان الشيعة من الذين نالوا من شرف عائشة رضي الله عنها ، و قد تكفل الفقيه المالكي أبو سعيد خلف بن عمر بالدفاع عنها ، حيث كان يقول من سب عائشة قتل فقيل له إن الرسول صلى الله عليه وسلم جلد أصحاب عائشة و القرآن يقول " و الذِينَ يَرْمُونَ المحُصْنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَؤْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلِدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدَةً وَ لَا تَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةً أَبَدًا وَ أُولَئِكَ هُمُ الفَاسِقُونَ " [3] و أنتم لم تأخذوا بالكتاب و السنة فقال أبو سعيد قال

[1] الأحزاب الآية 32

[2] القاضي عياض :المصدر السابق ، ج2 ، ص 161 ، الدباغ : المصدر السابق ،ج3،ص92.

[3] النور الآية 4

الله تعالى " أولئك مُبَرَءونَ مِمَا يَقُولُونَ " [1] ليضرب الله مثل البراءة بما في القرآن ، و بعد القرآن من سبها فقد رد القرآن و من رد حرفا منه فقد كفر بالإجماع [2].

[1] النور الآية 26

[2] القاضي عياض :المصدر السابق ، ج2 ، ص140 .

صراع المالكية و الموحدين :

عانى المالكية جراء قيام الدولة الموحدية خاصة في عهد المنصور الذي اتقطع علم الفروع في عهده و أراد " محو مذهب مالك و إزالته من المغرب جملة واحدة [1]

و قد اختلف المؤرخون فيمن أول من أظهر العداء للمذهب المالكي من الموحدين هل المنصور أم أبوه يوسف أم عبد المؤمن بن علي ،حيث ذكر بعض المؤرخين أن عبد المؤمن بن علي هو من بدأ بذلك و أمر بإحراق كتب فقه الفروع وذلك في سنة " خمسين وخمسمائة فيها أمر عبد المؤمن تغيير المنكر وتحريق كتب الفروع ورد الناس إلى قراءة الحديث وكتب بذلك إلى جميع طلبة المغرب والعدوة"[2]، في حين رأى عبد الواحد المراكشي و هو شاهد عيان على احراق كتب المذهب المالكي أن المنصور هو أول من فعل ذلك مع أنه أكد على أن هذه الفكرة " كانت مقصد أبيه و جده إلا أنهما لم يظهراه و أظهره يعقوب هذا "[3]

وكانت حجة الموحدين في التضيق على المالكية ما ذكره عبد الواحد المراكشي أن " أبا بكر بن جد ...قال لما دخلت على أمير المؤمنين ابي يعقوب أول مرة وجدت بين يديه كتاب ابن يونس ، فقال لي يا أبا بكر أنا أنظر في هذه الآراء المتشعبة التي أحدثت في دين الله ، أرأيت يا أبا بكر المسألة فيها أربعة أقوال أو خمسة أقوال أو أكثر من هذا ، فأي هذه الأقوال هو الحق و أيها يجب أن يأخذ به المقلد ؟ فافتتحت أبين له ما أشكل عليه من

[1] عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح سعيد العريان ، القاهرة ،1963م، ص 355.

[2] ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972 ، ص195

[3] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص355 .

ذلك فقال لي و قطع كلامي : يا أبا بكر ليس إلا هذا و أشار إلى المصحف أو هذا و أشار إلى كتاب سنن أبي داود و كان عن يمينه "[1].

مظاهر محاربة الموحدين للمذهب المالكي :

تعددت طرق محاربة الموحدين للمذهب المالكي منها

إحراق كتب الفقه المالكي :

تعتبر إحراق كتب الفقه المالكي أهم طريقة اتبعها الموحدون للقضاء على المذهب ، فقد بدأها عبد المؤمن بنعلي حيث أمر بإحراق كتب الفقه المالكي و الرجوع إلى ما جاء به المهدي "وليكن جميع ما تأتونه وتذرونه في هذا المقصد وتؤخرونه جاريا على حكم الإمام المعصوم، المهدي المعلوم، ففعله هو الذي نقتدي به، ونستمسك بسببه، ونمضيه على وجهه، ونجريه على رسمه"[2] .

وقد حذا حذوه حفيده المنصور الذي " أمر بإحراق كتب المذهب بعد أن يجرد ما فيها من حديث رسول الله صلى الله عليه و سلم و القرآن ،ففعل ذلك ، فأحرق منها جملة في سائر البلاد كمدونة سحنون ، و كتاب ابن يونس ، و نوادر ابن أبي زيد و مختصره ، وكتاب التهذيب للبراذعي ، وواضحة ابن حبيب و ما جانس هذه الكتب و نحا نحوها "[3] ، وهو ما أكده ابن الأبار عند حديثه عن كتاب نتائج الأبكار و مناهج النظار في معاني الآثار لابن أبي جمرة بقوله " ألفه بعد الثمانين و خمس مائة عندما أوقع السلطان بأهل الرأي و

---

[1] نفسه ، ص356 .

[2] نفسه ،ص355

[3] نفسه ، ص354 .

أمر بإحراق المدونة و غيرها من كتبه "[1] و كان " يؤتى منها بأحمال فتوضع و يطلق فيها النار "[2].

التضيق على الفقهاء المالكية :

يعتبر التضيق على المالكية من أهم السبل التي استعملها الموحدون في محاربتهم للفقه المالكية حيث عملوا على الترهيب و التهديد و التضييق على نشاط الفقهاء الفكري تأليفا و تدريسا.

فقد توعد المنصور الموحدي بالعقوبة الشديدة من اشتغل بعلم الرأي و الخوض في شيء منه حتى انقطع علم الرأي في أيامه و خافه الفقهاء [3]

كما تعرض الكثير من الفقهاء إلى الأذى ومنهم أبا الحسن ابن زرقون " أوذي من جهة بني عبد المؤمن لما أبطلوا القياس و ألزموا الناس بالأثر و الظاهر "[4].

و قد ذكر الذهبي أن إبي بكر التجيني و أبي الحسن ابن زرقون "عرضا على السيف لإقرائهما شيء من فقه مالك حين حمل ابن عبد المؤمن الناس على فقه الظاهر "[5].

---

[1] ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تح عبد السلام الهراس ،ج2 ، دار الفكر ، بيروت ، 1995/1415 ، ص70

[2] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص 354 .

[3] نفسه ، ص354 .

[4] التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،تح علي عمر ،ط1 ، ج2 ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 2004 ، ص205 .

[5] الذهبي : المستلمح من كتاب التكملة ، تح عواد بشار معروف ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس 2008 ،ص 88 .

إحلال المذهب الظاهري :

من طرق محاربة المذهب المالكي أثناء فترة الموحدين إقدامهم على إحلال المذهب الظاهري مكان المذهب المالكي خاصة المنصور الذي "كان مقصده في الجملة محو مذهب مالك وإزالته من المغرب مرة واحدة ، وحمل الناس على الظاهر من القرآن و الحديث "[1] و ذكر ابن فرحون أن الموحدون " أبطلوا القياس و ألزموا الناس بالأثر و الظاهر "[2].

[1] عبد الواحد المراكشي : المصدر السابق ،ص355

[2] ابن فرحون :المصدر السابق ، ص205 .

قائمة المصادر و المراجع :

القرآن الكريم

1-المصادر

1- ابن الأبار : التكملة لكتاب الصلة ، تح عبد السلام الهراس ،ج2 ، دار الفكر ، بيروت ، 1995/1415.

2- ابن الأثير : الكامل في التاريخ ، تح عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ،ج2 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، 1997.

3- ، الإدريسي : القارة الإفريقية و جزيرة الأندلس مقتبس من كتاب نزهة المشتاق في اختراق الأفاق ، تح و تقديم إسماعيل العربي ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر .

4- الأشعري : مقالات الإسلاميين و إختلاف المصليين ، تح محمد محي الدين عبد الحميد ، المكتبة العصرية ، بيروت.

5- مالك بن أنس : الموطأ ، رواية يحي بن يحي الليثي ،ط1 ، دار الجوزي القاهرة ، 2011.

6- عبد الحق الباديسي : المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف ، تح سعيد أعراب ، ط2 ، المطبعة الملكية ، الرباط ، 1993.

7- البخاري : الجامع الصحيح المختصر المعروف بصحيح البخاري ، تح مصطفى ديب البغا ، ط3 ،ج3 دار ابن كثير اليمامة ، بيروت 1987.

8- البكري : المغرب في ذكر بلاد إفريقية و المغرب وهو جزء من المسالك و الممالك ، نشره مع الترجمة الفرنسية كولين دوسلان ، مكتبة أمريكا و الشرق ، باريس 1965.

9- البيهقي : سنن البيهقي الكبرى ،تح محمد عبد القادر عطا ،ج10،دار الباز ، مكة المكرمة ، 1994.

10- التنبكتي : نيل الابتهاج بتطريز الديباج ،تح علي عمر ،ط1 ، ج2 ، مكتبة الثقافة الدينية ،القاهرة ، 2004 .

11- ابن حزم : الفصل في الملل و الأهواء و النحل ، تح محمد إبراهيم نصرو و عبد الرحمن عميرة ، ط1 ، ج2 ، مكتبة عكاظ للنشر ، 1982 .

12- ابن حزم : جمهرة أنساب العرب ،ط1 ، دار الكتب العلمية بيروت ، 1983.

13- الحميدي : جذوة المقتبس في تاريخ علماء الأندلس ،تح بشار عواد معروف ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ،2008.

14- الحميري : الروض المعطار في خبر الأقطار ، تح احسان عباس ، ط2 ، مكتبة لبنان مطبعة هيدلبارغ ، بيروت ، 1984

15- ابن حوقل : صورة الأرض ، مكتبة الحياة ، بيروت

16- ابن خلدون :كتاب العبر وديوان المبتدأ و الخبر في أيام العرب و العجم و البربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر ، تقديم عبادة كحيلة ،، ج6 ،الهيئة العامة لقصور الثقافة ، 2007.

17- ابن خلدون : المقدمة ، الطبعة البهية المصرية.

18- الدباغ : معالم الإيمان في معرفة أهل القيروان ،محمد الأحمدي أبو النور ،محمد ماضور ، ج2 ،مكتبة الخانجي مصر ، المكتبة العتيقة تونس.

19- ابن أبي دينار : المؤنس في أخبار إفريقية و تونس ، تح محمد شمام ، ط1 ، المكتبة العتيقة ، تونس ، 1957.

20- الدينوري : الأخبار الطوال ،تح فكر فاروق الطباع ، دار الأرقم للطباعة و النشر.

21- شمس الدين الذهبي : تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير و الأعلام ، تح عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، ج 25 ، دار الكتاب اللبناني ، بيروت ، 1987

22- الذهبي : المستلمح من كتاب التكملة ، تح عواد بشار معروف ،ط1 ، دار الغرب الإسلامي ، تونس 2008.

23- ابن أبي زرع : الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب و تاريخ مدينة فاس ، دار المنصور للطباعة و الوراقة ، الرباط ، 1972

24- خير الدين الزركلي : الإعلام ، ج6 ، بيروت ، 1969

25- السجستاني : إثبات النبؤات ، تح و تقديم عارف ثامر ، منشورات المكتبة الكاثوليكية ، بيروت.

26- جلال الدين السيوطي : تاريخ الخلفاء ، ط1 ، دار ابن خرج للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت ، 2003.

27- أبو عبد الله محمد بن عيشون الشراط: الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس ، دراسة وتح زهراء النظام ، ط1 ،منشورات كلية الآداب بالرباط ، مطبعة النجاح الجديدة الدار البيضاء ، 1997.

28- الشهرستاني : الملل و النحل ، تقديم صدقي جميل العطار ،دار الفكر للطباعة و النشر،بيروت ،2005.

29- الصنهاجي : أخبار ملوك بني عبيد و سيرهم ، تح و تعليق جلول أحمد البدوي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

30- الطبري : تاريخ الرسل و الملوك ،تح محمد أبو الفضل إبراهيم ،ط2 ،ج6 ، دار المعارف ، القاهرة 1971.

31- ابن عبد ربه : العقد الفريد ، ط1 ، ج5 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 1404هـ.

32- ابن عذارى المراكشي : البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب تح ج. س. كولان، إ. ليفي بروفنسال ، ط3 ،ج1، دار الثقافة، بيروت لبنان ، 1983م.

33- القاضي عياض : ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك، تح محمد الطنجي ط2، ج1، وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية ، المملكة المغربية ، 1983.

34- عماد الدين القرشي : عيون الأخبار و فنون الآثار في فضائل الأئمة الأطهار ، تح مصطفى غالب ، السبع الخامس ، دار الأندلس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت.

35- الرقيق القيرواني :تاريخ إفريقية و المغرب ، تح منجي الكعبي ، مطبعة رقيق السقطي تونس .

36- ابن كثير : البداية و النهاية ، ط1 ، دار المنابع للنشر و التوزيع ، القاهرة ، 2001 .

37- مارمول كربخال: كتاب إفريقيا ، تر محمد حجي و آخرون ،ج1 ، مطبعة المعارف الجديدة ، الرباط .

38- المالكي : رياض النفوس في طبقات علماء القيروان وإفريقية و زهادهم و نساكهم و سير من أخبارهم و فضائلهم وأوصافهم ، تح البشير بكوش ، مراجعة محمد العروسي المطوي ، ط2، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت ، 1994.

39- مجهول : الاستبصار في عجائب الأمصار ، تح سعد زغلول عبد الحميد ،دار الشؤون الثقافية العامة، الرباط ، 1986.

40- مؤلف مجهول : مفاخر البربر ،تح عبد القادر بوباية ، دار أبي الرقراق للطباعة ، الرباط ، 2005.

41- عبد الواحد المراكشي : المعجب في تلخيص أخبار المغرب ، تح سعيد العريان ، القاهرة ،1963م.

42- محمد بن مرزوق : المسند الصحيح الحسن في مآثر و محاسن مولانا أبي الحسن ، دراسة و تعليق ، ماريا خيسوس بيغيرا ،تقديم محمود بوعياد، الشركة الوطنية للنشر و التوزيع الجزائر 1981.

43- المسعودي : مروج الذهب و معادن الجوهر ، ط5 ، ج2 ، دار الأندلس للنشر ، 1985.

44- المقريزي : اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء ، تح جمال الدين الشيال ، ط2 ، ج2 ، القاهرة ، 1996.

45- ابن منظور : لسان العرب ، تح عبد الله علي الكبير و آخرون ، مج 5 ، دار المعرف ، القاهرة.

46- ابن النديم : الفهرست ، ط1 ، دار المعارف ، بيروت ، 1994

47- القاضي النعمان : دعائم الإسلام في ذكر الحلال و الحرام في القضايا و الأحكام عن أهل بيت رسول الله عليه السلام و أفضل السلام . تح أصف بن علي أصغر فيضي ، ط1 ، دار المعارف القاهرة ، 1996.

48- القاضي النعمان :افتتاح الدعوة ، تح فرحات الدشراوي ،ط2 ، الشركة التونسية للتوزيع ، تونس ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1986.

49- نهاية الأرب في فنون الأدب ، ط1 ، ج1 دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2004.

50- الونشريسي : المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء إفريقية والأندلس والمغرب ،خرجه جماعة من الفقهاء بإشراف محمد حجي ، نشر وزارة الأوقاف و الشؤون الإسلامية للمملكة المغربية ،الرباط ، دار الغرب الإسلامي ، بيروت ، 1981م.

51- اليعقوبي : تاريخ اليعقوبي ، تح خليل منصور ، ط2 ، ج2 ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، 2002.

2-المراجع :

1- محمود اسماعيل :الخوارج في بلاد المغرب حتى منتصف القرن الرابع الهجري ، ط2 ، مكتبة الثقافة الدينية ، الدار البيضاء ، 1985 .

2- علي أمليل : الخطاب التاريخي دراسة تاريخية لمنهج ابن خلدون ، معهد الانماء العربي.

3- لطيفة البكاي :حركة الخوارج نشأتها وتطورها إلى نهاية العهد الأموي (37-132هـ) ،ط1 ، دار الطليعة ، بيروت 2001 .

4- إبراهيم القادري بوتشيش : مباحث في التاريخ الاجتماعي للمغرب و الأندلس خلال عصر المرابطين ، دار الطليعة ، بيروت .

5- الدراجي بوزيان : القبائل الأمازيغة أدوارها مواطنها أعيانها ، ج1 ، دار الكتاب العربي ، الجزائر ، 2007.

6- محمد نجيب بوطالب : سوسيولوجيا القبيلة في المغرب العربي ، ط2 ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 2009.

7- بيار بونت ، ميشال إبراز : معجم الأنطولوجيا و الأنثروبولوجيا ، تر مصباح الصمد ، ط1،المؤسسة الجامعية للدراسات ، المعهد العلي العربي للترجمة ، الجزائر ،2006.

8- عارف تامر : حقيقة إخوان الصفا ،ط2 ، بيروت ، 1996.

9- إبراهيم التهامي : جهود علماء المغرب في الدفاع عن عقيدة السنة ، ط1 ، مؤسسة الرسالة ، بيروت ،1426هـ 2005 ،

10- محمد عابد الجابري : فكر ابن خلدون العصبية و الدولة ، معالم نظرية خلدونية في التاريخ الاسلامي ، ط2 ، دار النشر المغربية ، الدار البيضاء .

11- عمر الجيدي : محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي ، منشورات عكاظ ، الرباط ، 1987.

12- محمد حجي : نظرات في النوازل الفقهية ،ط1 ، منشورات الجمعية المغربية للتأليف و الترجمة و النشر ،مطبعة النجاح الجديدة ، الدار البيضاء ، 1999

13- حسن إبراهيم حسن : تاريخ الإسلام الديني و السياسي و الثقافي و الاجتماعي ،ط5 ، دار الجيل ، بيروت ،2001.

14- إحسان محمد الحسن : العائلة والقرابة و الزواج ، دراسة تحليلية في تغير نظم العائلة و القرابة والزواج في المجتمع العربي ، ط1 ، دار الطليعة ، بيروت ، 1981.

15- سعيد بن حمادة : الماء و الإنسان في الأندلس خلال القرنين 7-8هـ /13-14م إسهام في دراسة المجال و المجتمع والذهنيات ، ط1 ، دار الطليعة بيروت ، 2007 .

16- صبري خدمتلي : العقيدة و الفرق الإسلامية ، ديوان المطبوعات الجامعية ، الجزائر ، 1990 ، ص 66 .

17- علي حسن الخربوطولي : أبــو عبد الله الشــيعي مؤسـس الدولة الفاطمية ، المطبعة الفنية الحديثة ، الزيتونة.

18- خلفات مفتاح: قبيلة زواوة بالمغرب الأوسط ما بين القرن 6-9 هـ/ 12-15م دراسة في دورها السياسي و الحضاري ، الأمل للطباعة و النشر ، تيزي وزو ، 2011.

19- محمد علي دبوز : تاريخ المغرب الكبير ،ط1 ،ج1 ، مطبعة عيسى الحلبي ، القاهرة ، 1963

20- الزرقاني : شرح الزرقاني علي موطأ الإمام مالك، ج1، ، دار الفكر، بيروت 2004.

21- سعد زغلول عبد الحميد : تاريخ المغرب العربي ،ج1، منشأة المعارف ، الاسكندرية.

22- محمد أبو زهرة : تاريخ المذاهب لإسلامية ، ط1 ، دار الفكر العربي ، بيروت ،1984.

23- السيد عبد العزيز سالم : المغرب الكبير ، العصر الإسلامي ج2 ، دار النهضة العربية ، بيروت.

24- السلاوي : الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى ، تح و تعليق جعفر الناصري و الناصري ، دار الكتاب الدار البيضاء ، المغرب ، 1954.

25- نصر سليمان : الموجز في علم الحدث ، دار البعث ، قسنطينة ، 1997.

26- محمود السيد : تاريخ دول المغرب العربي لبيا تونس الجزائر موريتانيا ، مؤسسة شباب الجامعة ، الإسكندرية ، 2000.

27- محمد جمال الدين سيرور : الدولة الفاطمية في مصر سياستها الداخلية و مظاهر الحضارة في عهدها ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999.

28- أحمد حسن صبحي : الدعوة الفاطمية ، ط1 ، مكتبة مدبولي القاهرة ، 2005.

29- محمد الطالبي : استقلال المغرب ، مقال في كتاب تاريخ إفريقيا العام ، المجلد الثالث إفريقيا من القرن السابع إلى القرن الحادي إشراف م الفاسي و إ هربك ،ط2 ، منظمة الأئمم المتحدة للتربية والعلم والثقافة ، اليونسكو ، مطبعة المكلس ، لبنان

30- محمد سهيل طقوش : تاريخ الفاطميين في شمال إفريقية و مصر و بلاد الشام ، ط1 ، دار النفائس للطباعة و النشر و التوزيع ، بيروت 2001.

31- عبد الله العروي : مجمل تاريخ المغرب ، ط5 ، المركز الثقافي العربي ، المغرب 1996

32- محمد بن عميرة : دور زناتة في الحركة المذهبية بالمغرب الاسلامي ، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر ، 1984

33- محمد عبد الله عنان : الحـــاكم بأمر الله و أسرار الدعوة الفاطمية ، دار النشر الحديث ، القاهرة ، 1968.
34- محمد شفيق غربال ، الموسوعة العربية الميسرة ، ج4 ، دار إحياء التراث العربي
35- كاشف الغطاء : أصل الشيعة ، مكتبة العرفان ، بيروت.
36- أحمد فريد : الفوائد البدعية في فضائل الصحابة و ذم الشيعة ، ط2 ، الدار السلفية للنشر و التوزيع ، الاسكندرية ، 2000.
37- محمد إبراهيم الفيومي : تاريخ الفرق الإسلامية السياسي و الديني – الشيعة العربية و الزيدية – ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 2002 .
38- موسى لقبال : تاريخ المغرب الإسلامي ، ط4 ، دار هونة ، الجزائر ، 2004.
39- موسى لقبال : المغرب الاسلامي من بناء معسكر القرن حتى انتهاء ثورات الخوارج ، سياسة و نظم ، ط1 ، مطبعة البعث ، قسنطينة
40- عبد المنعم ماجد : الخلافة الفاطمية وسقوطها في مصر ، ط1 ، دار الفكر العربي ، القاهرة 1414 هـ /1994م .
41- الأزهر الماجري : قبائل (ماجر والفراشيش خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر (في جدلية العلاقة بين المحلي والمركزي) ، منشورات كلية الآداب والفنون والإنسانيات منوبة ، 2005
42- دنيك متيشل : معجم الاجتماع ، تر محمد الحسن ، دار الطليعة ، بيروت .
43- محمد عبدو المجدوب : الانثروبولوجيا السياسية ، ط3 ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة .
44- نبيلة حسن محمد : في تاريخ الدولة العربية ، دار المعرفة الجامعية ، الاسكندرية ، 2004.

45- حسن علي محمد : قاموس المذاهب و الأديان ، ط1 ، دار الجيل ، بيروت ، 1998.

46- فريديرك معتوق : الموسوعة الميسرة في العلوم الاجتماعية ، ط1 ، مكتبة لبنان ناشرون ، بيروت لبنان ، 2012.

47- حسين مؤنس : معالم تاريخ المغرب و الأندلس ، مكتبة الأسرة ، القاهرة ، 2004 .

48- علي سامي النشار : نشأة التشيع و تطوره ، ط4 ، مؤسسة الكتاب ، بيروت ، 1969 ،

49- المختار الهراس :القبيلة و السلطة ، تطور البنيات الاجتماعية في شمال المغرب ، المركز الوطني لتنسيق وتخطيط البحث العلمي و التقني ، مطبعة الرسالة ، الرباط

50- عاطف وصفي : الأنثروبولوجية الاجتماعية ، دار النهضة العربية ، بيروت

3-المقالات :

1- عمر الجيدي : الجذور الأولى للمذهب المالكي في المغرب ، مجلة دعوة الحق ، العدد237 ،منشورات وزارة الأوقاف ، المملكة المغربية ،1989

2- عمر الجيدي : محاربة المذهب المالكي في المغرب ، مجلة دعوة الحق ، العدد225 ،منشورات وزارة الأوقاف ، المملكة المغربية ،1982

3- أحمد عبيد : التاريخ الجزائري –تقيم و نقد – حالة الجزائر العثمانية ، مقال في مجلة إنسانيات ، العدد 47-48 ، 2010 ، مركز البحث في الإنثربوجلية الاجتماعية و الثقافية ، وهران

4- محماد لطيف : بنية الأسرة البدوية وخصائصها في المغرب الأقصى خلال القرنين 8-9هـ/14-15م مقال في، كتاب الأسرة البدوية في تاريخ المغرب،

تنسيق الباضوية بلكامل و أخريات ،كلية الآداب و العلوم الإنسانية جامعة ابن طفيل القنيطرة المملكة المغربية ، منشورات مجموعة البحث في تاريخ البوادي المغربية ،ط1 ، 2006 .

4-الرسائل الجامعية :

1- موسى رحماني : الأوراس في العصر الوسيط من الفتح الاسلامي إلى انتقال الخلافة الفاطمية إلى مصر (27-362هـ / 637-972م) دراسة إجتماعية ، رسالة ماجستير قسم التاريخ ، جامعة منتوري قسنطينة ، السنة الجامعية 2006-2007.

2- شنعة خديجة : اعتناق البربر للإسلام ، مذكرة ماجستير في التاريخ ، جامعة وهران ، السنةالجامعية 2011-2012

3- الشيخ عدة : العصبية الدينية ودورها في قيام و أفول الدول الاسلامية المرابطية أنموذجا ، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الفلسفة ، جامعة وهران ، 2011-2012.

6-المراجع الأجنبية :

Yves lacoste: géographie du sous-développement, p.u.f troisième édition , paris ,1976.